

التخطيط الإداري النبوي في العهد المكي

الدكتور/ فيصل بن أحمد بن عابد شعبي
قسم الإدارة العامة - كلية الاقتصاد والإدارة
جامعة الملك عبد العزيز - جدة

مقدمة :

إن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث كان وحيداً غريباً في عالم مليء بالشرك ، والإلحاد ، والفساد . وجاء صلى الله عليه وسلم ليغير هذا الواقع ، وليعيد الناس إلى عبادة الله ، وقيمهم على المنهج الصحيح ، ويلغهم رسالات ربهم وذلك لأن الغرض الأساسي من خلق البشر هو عبادة الله في الأرض فقد قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

ولهذا فقد انطلق الباحث في هذه الدراسة من حقيقة أن الإدارة الإسلامية هي إدارة تستمد منهجها من مصادر الشريعة الإسلامية سواء كانت الأساسية (القرآن الكريم والسنة النبوية) أو الفرعية (الإجماع / القياس / العرف / الاستحسان وغيرها) ولذلك فهي تتسم بالشمولية وملاءمة الفطرة الإنسانية على اختلاف الأزمنة والأمكنة .

وانطلاقاً من هذا فإنه يجب على المسلمين الاقتداء بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع شؤونهم ، وسيحاول الباحث هنا التركيز على جانب من جوانب الإدارة الإسلامية وهو جانب التخطيط ، امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى في عدد من الآيات القرآنية :

﴿ ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣-٤] .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وامثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام :

" تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله " ^(١) .

كما قال عليه الصلاة والسلام أيضاً :

" ... فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ... " ^(٢) .

ولهذا فقد تم استعراض التخطيط الإداري كأحد الجوانب الإدارية المهمة وفق السنة النبوية المطهرة باعتبار أنها الأصل الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية .

يعد التخطيط العنصر الأول والأساسي في الفكر الإداري ، وهو حجر الزاوية في العمليات الإدارية حيث إنه وبدون تخطيط متقن ومسبق لا يمكن أن يكون هناك عمل ناجح . إن التخطيط كوظيفة هامة ليست وليدة اليوم وإنما هي قديمة قدم التاريخ ، فقد طبقت حضارات المصريين والصينيين والرومان والإغريق وكذلك الحضارة الإسلامية بمفهومه الشامل في جوانب الحياة كافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية. إن أهمية التخطيط ازدادت في العصر الحديث حتى أصبح

(١) أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي : موطأ مالك ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، بدون سنة النشر ، ج ٢ ، باب النهي عن القول بالقدر ، حديث رقم ١٥٩٤ ، ص ٨٩٩ ؛ محمد عبدالله الخطيب التريزي : مشكاة المصابيح ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث رقم ١٨٦ ، ص ٦٦ ، قال الألباني حديث صحيح.

(٢) أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري : المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ج ١ ، كتاب العلم ، حديث رقم ٣٢٩ ، ص ١٧٤ ، حديث صحيح ليس له علة.

يحتل المكانة الأولى بين الوظائف الإدارية الأخرى ، فهو يسبق التنظيم والتوجيه والرقابة ، باعتباره عملية ذهنية وفكرية تسبق تنفيذ الأعمال ، بل إن تنفيذ الأعمال يعتمد أساساً على الخطط والبرامج المعدة، التي على أساسها يتم ترجمة الخطط إلى واقع ملموس^(١). إذ إن العمل بدون خطة يصبح ضرباً من العبث ، إذ تعم الفوضى والارتجالية ويصبح تحقيق الهدف بعيد المنال والتحكم في الموارد المادية والبشرية من المستحيل. من هنا أصبح التخطيط ضرورة ملحة لتحقيق أهداف الدول والمنظمات والجماعات والأفراد.

ولتحقيق أهداف الدراسة ، فقد وزع البحث إلى عدة أجزاء : الجزء الأول يستعرض منهج البحث ، والثاني أدبيات البحث. وأما الجزء الثالث فيشرح مقومات التخطيط الحديث كإطار لبيان أن التخطيط الإداري ليس - كما يعتقد البعض - وظيفة إدارية ابتكرها الفكر الإداري الحديث بقدر ما هو نمط من أنماط السلوك الإنساني عرف وبحث وطبق من قبل الإسلام لكونه الدين الخالد الذي لن يقبل الله سبحانه وتعالى ديناً سواه. وأما الجزء الرابع فيناقش التخطيط الإداري في العهد النبوي المكي ، والخامس فيرصد نتائج الدراسة ثم الخاتمة.

* * *

(١) سعود محمد النمر، هاني يوسف خاشقي ، محمد فتحي محمود، محمد سيد حمزاوي. الإدارة العامة :

الأسس والوظائف ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ص ص ٩٠-٩١.

القسم الأول : منهج البحث:

في هذا القسم سيتم عرض الباحث أسباب اختيار البحث ، وأهداف الدراسة وأسئلتها ، ومنهج البحث وحدوده.

أسباب اختيار البحث :

إن من أسباب إجراء مثل هذه الدراسة ما يلي :

- ١- اعتقاد بعض الباحثين والكتاب المسلمين في العصر الحاضر بأن الإدارة علم دنيوي لا علاقة له بالدين وهذا غير صحيح كما سوف يتضح لاحقاً.
- ٢- الحاجة الملحة ، خاصة في الوقت الراهن ، للاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم كنبى مرسل ومشروع وقائد ومخطط وموجه لكي تعود للأمة الإسلامية هيبتها وعزتها وإدارتها المستقلة المتميزة امتثالاً لقول الله تبارك وتعالى في عدد من الآيات القرآنية :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿ ... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ... ﴾ [الأنعام: ٣٨].

- ٣- طغيان الفكر السياسي والإداري العلماني الغربي على المناهج التعليمية في الجامعات والكليات والمعاهد خاصة بعد سقوط الشيوعية حيث بينت دراسة المطيري^(١) بأن ٧٧% من أفراد عينة دراسته يرون أن أصول الإدارة العامة الحديثة قائمة على النظريات العلمانية فيما يرى ٩٢% بأن هذه الأسس والمبادئ ظهرت في المجتمع الغربي على أيدي كتاب غربيين.

(١) حزام مطر المطيري : مبادئ وأسس الإدارة العامة أهمية أسلمتها : دراسة استطلاعية تحليلية ، مركز البحوث : كلية العلوم الإدارية : جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٢هـ ، ص ص ٣٨-٣٩.

٤- حاجة المناهج الدراسية الخاصة بالعلوم الإدارية لإبراز وجهة النظر الإسلامية. فعلى سبيل المثال أوضحت الدراسة السابقة^(١) بأن المراجع المستخدمة سواء المترجمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تدريس الإدارة العامة متشابهة في محتوياتها وأفكارها وغالباً ما تعكس مفهوم الإدارة العامة في الولايات المتحدة الأمريكية. إن هذا الفكر الإداري الغربي يسعى إلى الهيمنة والسيطرة ومن ثم القضاء على القيم والأديان بما في ذلك الدين الإسلامي.

أهداف الدراسة :

يسعى الباحث في هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

- ١- التأكيد على أن الفكر الإداري الإسلامي قد سبق الفكر الإداري الوضعي ليس فقط من حيث الاهتمام والعناية بالتخطيط بل من حيث الممارسة الفعلية.
- ٢- إبراز دور العقيدة الإسلامية كمنهج تربوي للنفس البشرية في التخطيط كأحد الجوانب الإدارية المهمة ليحل محل المنهج العلماني الغربي .
- ٣- نشر الوعي الإسلامي عن التخطيط الإداري وذلك للاستفادة من الطابع النبوي النموذجي.
- ٤- استشارة هم المسلمين للعودة لهذا الأصل العظيم.

أسئلة الدراسة :

يمكن عرض مشكلة الدراسة من خلال السؤالين الآتيين :

- ١- ماذا يعني التخطيط الإداري في الإسلام؟
- ٢- هل تم تطبيق التخطيط الإداري في إدارة الدعوة الإسلامية في العهد النبوي المكّي؟

(١) المرجع السابق ، ص ، ٣٩.

منهج البحث :

في مثل هذه الأبحاث النظرية التي يغلب عليها طابع الوثائق التاريخية ، يلجأ الباحث إلى المنهج التاريخي . فقد عرف العساف المنهج التاريخي بأنه " ... ما يمكن به إجابة سؤال عن الماضي بواسطة مجهود علمي كبير يبذله الباحث متمثلاً في محاولته لاستنتاج العلاقة بين الأحداث ، والربط بينها ، مستنداً في ذلك إلى ما يستقيه من أدلة علمية صحيحة تبرهن استنتاجه "(١). أي أن الهدف ليس السرد التاريخي للسيرة النبوية العطرة وإنما محاولة التحليل والبحث والدراسة لما وراء هذه الأحداث والوقائع الصحيحة والأقوال والأفعال للرسول صلى الله عليه وسلم ذات العلاقة بموضوع البحث . ومن ثم الخروج بمجموعة من النتائج والتوصيات للاستفادة منها في واقعنا التخطيطي الحديث .

حدود الدراسة :

إن الباحث سوف يركز في بحثه على إجابة السؤالين السابقين وذلك للأسباب التالية:

- ١ - طول فترة العهد النبوي المكي والذي استغرق ثلاثة عشر سنة.
- ٢ - إن البحث لن يناقش التخطيط الإداري في العهد النبوي المدني وذلك لأنه موضوع قد نشر في مجلة علمية متخصصة^(٢).

* * *

(١) صالح حمد العساف: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ،

١٤٢١هـ ، ص ٢٨١

(٢) فيصل أحمد شعبي : ((التخطيط الإداري الإسلامي في العهد النبوي المدني)) ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، الاقتصاد والإدارة ، مركز النشر العلمي ، جدة ، م ١٥ ، ع ١ ، ١٤٢٢هـ ، تحت الطبع.

القسم الثاني : أدبيات البحث :

يستعرض هذا الجزء من البحث مفهوم التخطيط الإداري في الإسلام ثم الإحاطة بأحوال العرب الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية قبيل بزوغ فجر الدعوة الإسلامية لنستشعر الإعداد الجيد والتخطيط العلمي الدقيق الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية.

أولا : مفهوم التخطيط الإداري في الإسلام:

هناك بعض من الدراسات الإسلامية القليلة التي عرفت التخطيط الإداري في الإسلام . فعلى سبيل المثال عرف الدكتور فرناس البنا التخطيط الإسلامي بأنه " أسلوب عمل جماعي يأخذ بالأسباب لمواجهة توقعات مستقبلية أو يعتمد على منهج فكري عقدي - يؤمن بالقدر ويتوكل على الله- ويسعى لتحقيق هدف شرعي هو عبادة الله وتعمير الكون "(١). كما عرفه الدكتور حزام المطيري على أنه التفكير والتدبر بشكل فردي أو جماعي في أداء عمل مستقبلي مشروع مع ربط ذلك بمشيئة الله تعالى ثم بذل الأسباب المشروعة في تحقيقه مع كامل التوكل والإيمان بالغيب فيما قضى الله وقدره على النتائج"(٢). وهناك من يرى بأن التخطيط الإداري في الإسلام هو " وظيفة إدارية يقوم بها فرد أو جماعة من أجل وضع ترتيبات عملية مباحة لمواجهة متطلبات مستقبلية مشروعة في ظل المعلومات الصحيحة المتاحة والإمكانات الراهنة والمتوقعة كأسباب ، توكلا على الله عز وجل من أجل تحقيق أهداف مشروعة"(٣).

(١) فرناس عبد الباسط البنا : التخطيط : دراسة في مجال الإدارة الإسلامية وعلم الإدارة العامة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ ، ص ٨٥.

(٢) حزام ماطر المطيري : الإدارة الإسلامية : المنهج والممارسة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ١٤١٧هـ ، ص ٧٦.

(٣) أحمد داود المزجاحي الأشعري : مقدمة في الإدارة الإسلامية ، الشركة الخليجية للطباعة والتغليف ، جدة ، ١٤٢١هـ ، ص ١٣٦.

كما أن التخطيط الإداري في الإسلام يمكن تعريفه - كما يراه الباحث - بأنه عملية بذل الجهد من قبل الفرد أو الجماعة في الأخذ بالأسباب الشرعية والاستفادة من دروس الماضي والحاضر لوضع التدابير اللازمة لمواجهة المستقبل مع التوكل على الله فيما قدر من نتائج لتحقيق أهداف تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية أو لا تتعارض معها.

إن هناك خمس مقاصد فرضها الدين الإسلامي وهي :

١ - حفظ الدين.

٢ - حفظ النفس.

٣ - حفظ العقل.

٤ - حفظ النسل.

٥ - حفظ المال.

مما سبق من تعريفات للتخطيط الإداري في الإسلام يمكن استنباط الآتي:

١ - وظيفة إدارية مهمة ذات صبغة تعبدية هدفها إعلاء كلمة الله ونيل رضاه.

٢ - وظيفة تتكون من بعدين أساسيين أحدهما مادي يتمثل في الأخذ بالأسباب الشرعية والآخر معنوي يتمثل في التوكل على الله تبارك وتعالى.

٣ - وظيفة تسعى إلى وضع تدابير وترتيبات مباحة لمواجهة متطلبات مستقبلية مشروعة.

٤ - وظيفة تسعى إلى تحقيق أهداف مزدوجة دنيوية وأخروية.

٥ - وظيفة لا يمكن إلا أن تكون أخلاقية.

إذاً وبما أن الإدارة في الإسلام هي أصلاً ذات طابع تعبدية ، فإنه من الضروري جداً أن يكون لها نوع مميز من التخطيط الذي يعكس فلسفتها ويحقق أهدافها .. ذلك هو التخطيط الإداري في الإسلام. وهذا ما يمكن ملاحظته في تخطيط النبي صلى الله عليه وسلم خلال الفترة المكية.

وفيما يلي سيتم عرض أوضاع العرب قبل الإسلام حتى يتسنى معرفة الجهد الكبير الجبار والأسلوب العلمي الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل التخطيط لتبليغ كلام الله عز وجل وإدارة الدعوة الإسلامية في تلك الفترة. أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمكن من تحديد مشكلات المجتمع المكي المراد إيجاد حلول مناسبة لها لأن التحديد الدقيق للمجالات والمواضع التي تتطلب تحسناً وتطويراً يعد من أساسيات نجاح وفعالية التخطيط والتي على ضوئها يتم تحديد الأهداف المراد تحقيقها.

ثانياً : الملامح العامة لأحوال العرب قبل الإسلام:

إن الواقع التاريخي للإنسانية قبل بزوغ فجر الدعوة الإسلامية يشير إلى مدى الانحطاط المريع الذي كان سائداً حيث إن الله سبحانه وتعالى يؤكد ذلك في القرآن الكريم :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي
عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١].

إن العالم الإنساني بشكل عام والجزيرة العربية بشكل خاص كان يعيش في دياجير ظلام الظلم والجهل والطغيان والاستبداد تتنازع الإمبراطوريتان الفارسية شرقاً والرومانية غرباً حيث جاءت هذه الحقيقة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
" إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم جميعاً إلا بقايا من أهل الكتاب " (١).

وهذا يؤكد بوضوح العقوبات التي واجهها الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل تبليغ الدعوة الإسلامية مما حتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم التفكير ملياً في

(١) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي
مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ ، ج ١٧ ، حديث رقم ٩٨٧ ، ص ٣٥٨ .

كيفية تحقيق أهداف الدعوة علي ضوء ملابسات الواقع ومعاكساته وهذا ما سوف يعرف في الجزء الخاص بتخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا البحث . ولكن الذي يهم هنا هو الإمام بيئة الدعوة والتي ستتحرك فيها الدعوة المحمدية للتعريف بنفسها وإعداد العدة البشرية والمادية والمعنوية لتغيير أوضاع المنطقة ومن ثم تحقيق أهدافها وذلك لتعظم عند ذي الوعي العاقل منه أنوار الفجر المحمدي في التخطيط للدعوة والتي غمرت الجزيرة والعالمين من ورائها هداية ونوراً . وفيما يلي موجز عن أحوال العرب الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية قبل الفجر المحمدي :

أ- الحالة الدينية :

يرى بعض المؤرخين أن جزيرة العرب ظلت تعيش أكثر من ٣٤٠٠ سنة بدون نبي منذ أيام شعيب عليه السلام^(١). وكما هي سنة الله في الناس أنه إذا انقطع الوحي خيم الجهل والضلال في الأرض حيث كان الوضع العقدي لدى العرب قبل الإسلام يشمل عقائد مختلفة كالوثنية والنصرانية واليهودية. لقد كان أكثر العرب قبل الإسلام يعبدون الأوثان والأصنام ولذلك سميت فترتهم بالجاهلية. وأول ما بدأ الشرك في العرب هو أنهم إذا أرادوا الخروج من الحرم نقلوا الحجارة من الحرم للتبرك بها والطواف حولها كطوافهم بالبيت ، فكان هذا مبدأ الوثنية في أولاد إسماعيل عليه السلام من العدنانيين^(٢). وأما الأصنام والتمائيل فإن أول من أتى بها من الشام إلى منطقة الحجاز هو عمرو بن لحي الخزاعي حيث يقول ابن هشام :

(١) الطيب برغوث: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٤١٦هـ ، ص ١٦٦.

(٢) أبو بكر جابر الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١١هـ ، ص ٣٥.

"حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء.. رأهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : ألا تعطوني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه ؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل، فقدم به مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه"^(١).

ويعتقضي بدعة عمرو بن لحي في جلب الأصنام إلى الحجاز من الشام انتشرت عبادة الأصنام في بلاد العرب، وكان من أشهر معبوداتهم من دون الله اللات والعزى ومناة . إن العرب أخضعوا حياتهم لسلطان الوثنية وغدا الأمر بالنسبة لهم حاجة نفسية وعقدية واقتصادية معاً حتى بلغ عددها زمن البعثة في الحرم وقرب الكعبة ٣٦٠ صنماً بحيث كان الرجل منهم إذا أراد السفر توجه إلى صنمه فتمسح به ثم سافر وإذا عاد من سفره أول ما يبدأ به يتمسح بصنمه ثم يدخل على أهله^(٢). كما دخلت النصرانية إلى نجران الواقعة جنوب مكة من بلاد اليمن عن طريق رجل صالح من أهل الشام يُقال له فيمّيون والذي كان على دين المسيح عليه السلام إضافة إلى رجل آخر يدعى عبدالله بن الثامر ولكن سرعان ما طرأ عليها التحريف والفساد فلم تكن صالحة للهداية والإصلاح^(٣). ومن هنا لم تنتشر النصرانية في بلاد العرب وظل تأثيرها محدوداً نظراً لقصر الفترة التي كانت فيها غير محرفة.

(١) أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري ابن هشام : السيرة النبوية لابن هشام ، وضع حواشيه وخرج أحاديثه : الشيخ فؤاد بن علي حافظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٥٩.

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٨-١٦٩.

(٣) الجزائري ، مرجع سابق ، ص ص ٤٤-٤٧.

كما وجدت اليهودية في شمال الجزيرة العربية بفدك وتيما وخيبر ويثرب وذلك بسبب الضغط الذي أصاب اليهود من ملوك الروم بعد بختنصر إضافة إلى تطلّعهم للنبيّ المبشر به في التوراة والإنجيل الذي يخرج من جبال فاران "...وأنّ مُهاجره يثرب... فترّلوا ديار الحجاز الشمالية رجاء أن يبعث نبي آخر الزمان فيؤمنوا به ويقاتلوا أعدائهم معه ويستردوا ملكهم المسلوب منهم من عدة قرون" ^(١). كما أن تأثير اليهودية ظل محدوداً خاصة في قلب الجزيرة العربية إلا أنّهم كان لهم شأن خطير في العهد المدني من الدعوة المحمدية.

وبجانب هذه العقيدة الوثنية والنصرانية واليهودية كانت هناك معتقدات ثانوية كالدهريين والجنين والحنيفيين. فالدهريون يعتقدون بأنّه ليس هناك بعث ولا حساب ولا جزاء كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُلْكَئُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤].

وأما الجنيون فهم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦].

أي أن رجال من العرب وغيرهم إذا نزلوا مكاناً مخوفاً في واد أو شعب يستعيذون قائلين : نعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهاء قومه ^(٢).

وأما الحنفيون فإنّه لم يكن في بلاد العرب آنذاك حنفاء يؤمنون بالله وحده ويعبدونه بما شرع إلا ما كان من زيد بن عمرو بن نفيل المتوفى قبل البعثة المحمدية والذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم :

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٢) أبو بكر جابر الجزائري : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ،

ط ٣ ، ١٤١٨ هـ ، ج ٥ ، ص ٤٤٨ .

" يأتي يوم القيامة أمة وحده " (١).

وبالتالي فلم يكن لمن بقي على أصل التوحيد الأول تأثير في بيئتهم. وهذه صورة مجملة عن الحالة الدينية لبيئة الدعوة في العهد المكي التي جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعون من الله سبحانه وتعالى ليقوم عوجها ويصحح مسارها عن طريق التخطيط السليم الذي توافق وأنسجم مع سنن الله الكونية و التشريعية.

ب_ الحالة الاجتماعية :

نظراً لطول الفترة التي عاشتها الجزيرة العربية بدون وحي إلهي كما ذكر ذلك أنفاً ظهرت في هذا المجتمع بشقيه البدوي والحضري عادات سيئة وعادات حسنة (٢) إلا أن الأولى كانت هي الأكثر شيوعاً ، ومن جملة العادات السيئة ما يلي :

١- العصبية القبلية وهي مبدأ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً وهي التي ترسم للفرد حياته وتحدد له تطلعاته أو تستأثر بكامل ولائه حتى على المستوى العقدي بحيث كان لكل بيت أو قبيلة صنم أو طاغوت خاص بها تتعصب له وتدافع عنه وتحميه وتفتخر به (٣).

٢- إن غياب الرؤية الفكرية والعقدية الصحيحة وتفشي الروح القبلية في الجزيرة العربية قبل الإسلام أدى إلى كثرة عمليات الإغارة والسلب والنهب والحروب بينهم حيث يبغى بعضهم على بعض ويأكل القوي الضعيف. لقد تمثل هذا السلوك السيئ في قول شاعرهم (٤) :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

(١) الحاكم ، مرجع سابق ، باب ذكر مناقب زيد الحب بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى ، ج ٣ ، حديث رقم ٤٩٥٦ ، ص ٢٣٨ .

(٢) الجزائري. هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠-٣٥ .

(٣) برغوث ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

(٤) منير محمد غضبان: فقه السيرة النبوية ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٥٩ .

ومن أشهر حروبهم حرب داحس والغبراء والبسوس والفجار.

٣- شرب الخمر والإدمان عليها والتي غدت من مظاهر كرمهم وفخرهم مما كان له مضاعفات اجتماعية واقتصادية خطيرة.

٤- نكاح الاستبضاع وهو " أن تحيض امرأة الرجل منهم فتطهر فيطلب لها أشراف الرجال وخيارهم نسباً وأدباً ليطوؤوها من أجل أن تنجب ولداً يرث صفات الكمال التي يحملها أولئك الواطئون لها "(١).

هذه بعض من مظاهر الضعف الاجتماعي التي اتصف بها مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام ولكن هذا المجتمع تحلى أيضاً بصفات حميدة نذكر منها ما يلي :

١- حب الحرية والرغبة المستمرة في الاستقلال نظراً لطول عهدهم بالبداءة والتي حررتهم من الضوابط القانونية.

٢- صدق الحديث وهو خلق كريم عرف به العرب في الجاهلية قبل الإسلام.

٣- الكرم وسخاء النفس وبذل العطاء للآخرين وهذه العادة الحسنة كانت من القيم الأساسية لدم ومدح الإنسان فعلى سبيل المثال كانت المرأة الفقيرة تنحر جملها الوحيد لتقديم الطعام إلى عابر سبيل غريب (٢).

٤- الوفاء بالعهود وعدم نكثها مهما كلفهم ذلك من ثمن.

مما سبق يتضح بأن العادات الحسنة كانت أقوى وأهم ذخيرة لتخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم للدعوة الإسلامية فيما بعد ولكن غلبت الصفات الذميمة على ذلك المجتمع مما أدى إلى انحدار كبير في تلك المنطقة والذي تم تلخيصه من قبل جعفر ابن أبي طالب في مرافعته أمام النجاشي عندما قال "... أيها الملك كنا قوماً أهل

(١) الجزائري. هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ٣٠.

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ١٧٤.

جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف" (١).

ج- الحالة السياسية :

إن بلاد العرب هي شبه جزيرة لوقوعها بين ثلاثة أبحر ، الأحمر غرباً ، والهندي جنوباً ، والخليج شرقاً . ففي جنوب الجزيرة العربية حيث اليمن احتلتها حكومات متعددة مثل الأحباش والفرس ولكن كان أعظمها حكم ملوك التبابعة من قبيلة حمير . فاليمنيين وبمعاونة الفرس استعادوا استقلالهم من الأحباش بقيادة معد يكرب بن سيف ابن ذي يزن الحميري ، كما أن ولاية الفرس على اليمن انتهت باعتناق باذان ، وهو آخر وال لهم على بلاد اليمن ، للإسلام وذلك سنة ٦٣٨م (٢) . أي أن نفوذ فارس انتهى بإسلام باذان .

وأما شرق الجزيرة العربية من الحيرة إلى العراق فكان يحكمها ملوك المناذرة وهم من أصل يمني إلا أنهم كانوا في واقع الأمر تابعين للحكم الفارسي (٣) .
وأما شمال الجزيرة العربية فقد كان يحكم عرب الشام ملوك آل جفنة (الغساسنة) والذين وضعوا من قبل الحكم الرومي (٤) .

وأما وسط الجزيرة العربية حيث العدنانيون وهم سكان مكة و ما حولها من ديار قحاة والحجاز ، فنجد أن قبيلة جرهم والتي استولت على حكم مكة بعد أن استوطنتها مع هاجر أم إسماعيل عليه السلام ومن ثم انتزع بني بكر من كنانة و غبشان خزاعة حكم مكة من يد جرهم ثم بعد زمن طويل تغلبت غبشان خزاعة

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

(٢) غضبان ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ ؛ الجزائري ، هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، ص ٢٥ ، ص ٢٧ .

(٤) غضبان ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

على بني بكر واستقلوا بالولاية على مكة إلى أن أتت الزعامة القرشية للعرب منذ استرجاع قصي بن كلاب ولاية البيت الحرام من خزاعة^(١). وهذا أصبح قصي أول أمير من قريش في مكة المكرمة وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء واستمر ذلك في قريش إلى ما بعد الإسلام^(٢).

وخلاصة القول في الحالة السياسية في بلاد العرب أن وسط الجزيرة حيث الحرم وما جاوره من ديار العرب العدنانيين كان مستقلاً لم يحكمه الروم ولا الفرس ولا الأحباش لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى. كما أن القبيلة كانت هي وحدة التنظيم الاجتماعي والسياسي في الجزيرة العربية قبل الإسلام حيث كان لزعمائها وشيوخها نفوذ كبير قد يرقى أحياناً إلى مستوى نفوذ الملوك في ممالكهم^(٣). وأصبحت الزعامة السياسية لقريش على العرب لوجود الكعبة المشرفة بها ووقوعها في طريق القوافل التجارية التي تندفق عليها خلال رحلتي الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام.

د- الحالة الاقتصادية :

إن يحمل القول في الحالة الاقتصادية في بلاد العرب هو أنه لم يكن فيها اقتصاد ذو قيمة كبيرة مقارنة مع غيرها من البلاد الأخرى إلا ما كان في شمال اليمن حيث ازدهرت الزراعة والفلاحة خاصة أيام سد مأرب ، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ : ١٥].

هذا إضافة إلى وجود بعض الصناعات كصناعة الكتان والسلاح من سيوف وحرا ب ودروع وغيرها^(٤).

(١) الجزائري ، هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، ص ص ٢٥-٢٦.

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ١٨٤.

(٣) المرجع السابق ، ص ص ١٨١-١٨٣.

(٤) الجزائري ، هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، ص ٢٨.

وأما القبائل العدنانية فكان معظمها يعيش في الصحراء حيث الثروة الحيوانية المعتمدة على الرعي إلا ما كان من قبائل قريش حيث كانوا في رغد من العيش ويعتمدون في عيشهم على رحلي الشتاء والصيف حيث قال سبحانه وتعالى فيهم : ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٌ ۝١ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش : ١-٤] .

إذاً كان عماد الحياة الاقتصادية في بلاد العرب لدى البادية الثروة الحيوانية المعتمدة على الرعي ، وكانت ملكية الفرد منها تزيد وتنقص من جراء الحروب الكثيرة التي تحدث بين القبائل المختلفة . أما الحاضرة فكانوا يعملون بالزراعة مثل اليمن ، والتجارة حيث كانت مكة قبيل ظهور الإسلام أعظم بلدة تجارية في جزيرة العرب . وكانت للعرب أسواق مثل سوق عكاظ يجتمعون فيها للبيع والشراء .

القسم الثالث : مقومات التخطيط الإداري :

وكما هو معروف في الفكر الإداري الحديث بأن هناك عدداً من المقومات الأساسية التي يجب أن تتضمنها عملية التخطيط الإداري والتي ستستخدم كإطار لمناقشة التخطيط الإداري في الإسلام والذي ارتبط بتاريخ بداية الدعوة الإسلامية^(١) :
١- الأهداف هي مجموعة النتائج المطلوب تحقيقها في المستقبل على أن تكون هذه الأهداف واضحة ومحددة وواقعية ومتناسقة وقابلة للقياس وتوجد قناة وإيمان تام لتحقيقها.

(١) النمر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص ٩٦-١١٢ ؛ ، طلق عوض الله السواط ، طلعت عبد الوهاب سندي ، طلال مسلط الشريف : الإدارة العامة : المفاهيم ، الوظائف ، الأنشطة ، دار النوايع للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤١٦هـ ، ص ص ٩٧-٩٩ ؛ عبد المعطي محمد عساف : مبادئ في الإدارة العامة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٠هـ ، ص ص ١٣٨-١٤٠ ؛ محمد عبد الفتاح ياغي : مبادئ الإدارة العامة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ ، ص ص ١٩٣-٢٠٢ .

٢- السياسات تعني مجموعة المبادئ والقواعد التي تستخدم لتحقيق الأهداف. وهناك فرق بين السياسة والهدف ، فالهدف هو ما يراد تحقيقه، أما السياسة، فهي الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق الهدف. وهذه السياسات يجب أن تكون واضحة ومتناسقة ومقبولة ومرنة.

٣- وأما الوسائل فتعني تحديد الأعمال اللازمة والنشاطات الضرورية وصولاً إلى الأهداف. إن الأهداف الموضوعة والسياسات المحددة لتحقيق الأهداف لا يمكن أن تعمل دون وجود مجموعة من الوسائل والإمكانات الضرورية لترجمة هذه الأهداف إلى شيء ملموس. وينبغي توخي الدقة والواقعية عند تحديد هذه الوسائل.

٤- وأخيراً المتابعة والتقييم تعني متابعة سير العمل وتقديمه وماتم إنجازه والصعوبات التي تواجه عملية التنفيذ وتحول دون تحقيق الأهداف المرجوة. وفيما يلي ستم مناقشة التخطيط النبوي للدعوة الإسلامية خلال العهد المكي وفق مقومات التخطيط الأساسية التي ينادي بها الفكر الإداري الحديث وذلك لبيان أن الدعوة الإسلامية لم تكن تتبع الأساليب العشوائية وإنما كانت تتم بأسلوب علمي وموضوعي يأخذ بالأسباب الشرعية لمواجهة توقعات المستقبل. ومن الممكن تقسيم التخطيط الإداري الإسلامي في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قسمين رئيسيين هما :

أولاً: العهد المكي والذي استمر ثلاثة عشر عاماً والذي هو موضوع الدراسة.

ثانياً: العهد المدني والذي استمر عشر سنين^(١).

القسم الرابع : الدراسة والتحليل:

إن الجدول رقم (١) يوضح بجلاء مدى توفر مقومات التخطيط (الأهداف، السياسات، الوسائل، التقييم) التي ينادي بها الفكر الإداري الوضعي في الدعوة

(١) صالح عبد الله بن حميد ، عبد الرحمن محمد عبد الرحمن بن ملوح : موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، دار الوسيلة ، جدة ، ١٤١٨ هـ ، المجلد الأول ، ص ٢٠٧.

الإسلامية التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم خلال العهد المكي والذي استغرق ثلاثة عشر عاماً وفيما يلي تفصيل لها.

جدول رقم (١)

مقومات التخطيط الإداري في العهد النبوي المكي

الأهداف	السياسات	الوسائل	التقييم
أ. نشر الدين الإسلامي ١. التوحيد ٢. الشريعة الإسلامية	أ. بناء العقيدة السليمة ب. بناء الفكر السوي ج. بناء النظام الاجتماعي المتوازن د. بناء الدولة الإسلامية	أ. الدعوة سرا استمرت ثلاث سنوات من البعثة النبوية وتضمنت ما يلي: ١. الاتصال الفردي الانتقائي ٢. تفادي المواجهة المبكرة ٣. توسيع قاعدة اتباع الدعوة ٤. اختلاف فئات قاعدة اتباع الدعوة ٥. تربية الاتباع ٦. بناء قاعدة جهادية ٧. قيام الاتباع بالدعوة ٨. اتخاذ مركز للاجتماعات السرية	أ. الإنجازات: ١. بلغ عدد الاتباع بضعا وأربعين رجلا وامرأة ٢. قبول الدعوة من أغلب بطون وفئات المجتمع القرشي وقبائله ٣. تكوين القاعدة الأساسية للدعوة ب. الصعوبات: ١. قلة الاتباع ٢. انحصار الدعوة في بيئة واحدة ج. الحلول: صدور الأمر الإلهي بالجهر بالدعوة لأن الاستمرار بالدعوة كان لظروف وملابسات خاصة
		ب. الدعوة الجهرية استمرت عشر سنين من البعثة النبوية وتضمنت فترتين: الفترة الأولى: الجهر بالدعوة داخل الدائرة القرشية ومحيطها القريب تضمنت ما يلي: ١. التمسك بأهداف الدعوة ٢. استغلال معطيات البيئة ٣. مطابقة الفعل بالقول ٤. الاستمرار في الدعوة مهما كانت التحديات	أ. الإنجازات: ١. بلغت الدعوة القاصي والداني ٢. كسب الرسول تأييد أغلب عشيرته ٣. انضمام فئات جديدة من بطون قريش ٤. كسر الحصار المفروض على الدعوة وانتقالها إلى مواقع أخرى ب. الصعوبات: ١. الاضطهاد والتعذيب

<p>٢. الحصار والتضييق ٣. فقدان نصيرين كبيرين (زوجه وعمه أبو طالب) مما يتطلب البحث عن سند اجتماعي جديد ج. الحلول: ١. مكة لا تصلح الآن لقيام الدولة الإسلامية ٢. تفتح مكة من خارجها</p>	<p>٥. عدم تورط الاتباع في صراع غير متكافئ مع كفار قريش ٦. توطين الاتباع على الانضباط النفسي ٧. تدعيم تضامن الاتباع ٨. تحفيز الاتباع لمقاومة اليأس وبث الأمل</p>	
<p>أ. الإنجازات : ١. انتقال الدعوة إلى مواقع جديدة ٢. إعطاء القيادة الحماية ٣. الضغط على قريش ب. الصعوبات: ١. ازدياد أذى المشركين للمسلمين ٢. أصبح المسلمون معزولين عن المجتمع المكي ٣. أصبح وجود المسلمين في مكة يشكل خطورة عليهم ٤. عدم قدرة الرسول على حماية الاتباع ج. الحلول: ضرورة الهجرة إلى مكان آمن</p>	<p>الفترة الثانية : الدعوة الجهرية خارج المجتمع المكي تضمنت ما يلي: ١. البحث عن النصرة والحماية خارج مكة ٢. الاستفادة من قوانين المجتمع القبلي ٣. الاستفادة من خبرات وتجارب المسلمين وغير المسلمين ٤. استمرار رفض أسلوب الإغراء والمساومة ٥. الإمام بالنواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لبيئة الدعوة ٦. تمكين الاتباع من الاستفادة من قوانين المجتمع الجاهلي ٧. الضغط على القوى المضادة</p>	
<p>أ. الإنجازات: ١. توفر المكان الآمن لوجود الحاكم العادل ٢. حماية المؤمنين المستضعفين من أذى قريش</p>	<p>ج. الهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة النبوية (الأولى والثانية) تضمنت ما يلي: ١. الهجرة من بلد الكفر والشرك والظلم للمحافظة على الدين (المكتسبات)</p>	

<p>٣. دفع الغربة المعنوية عن المسلمين وتأمينهم على دينهم</p> <p>٤. إسلام ملك الحبشة وكثير من أهلها</p> <p>ب. الصعوبات:</p> <p>١. قريش تحاول إعادة المهاجرين إليها .</p> <p>٢. إيواء الحبشة للمسلمين زاد نار الحقد لدى قريش</p> <p>ج. الحلول:</p> <p>البحث عن قبيلة تدافع عن الدعوة وقيادتها وأتباعها</p>	<p>٢. منع التصادم مع قريش</p> <p>٣. الضغط على قريش لمراجعة حساباتها</p> <p>٤. تجميع الاتباع في موقع جديد آمن</p> <p>٥. دعم التنظيم السياسي للمسلمين</p> <p>٦. اختيار أفضل العناصر للهجرة</p> <p>٧. تقوية أواصر المودة بين المهاجرين</p>	
<p>أ. الإنجازات:</p> <p>١. بيعتا العقبة مهدت الهجرة إلى يثرب نظرا لوجود الحماية</p> <p>٢. عاهد الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم على الإيواء والحماية والنصرة والمنعة</p> <p>٣. انتهاء عهد التشريد والتطريد وبدأ عهد الاستقرار والاستعداد للقتال ونشر الدعوة في جميع بقاع الأرض</p> <p>٤. إعلام الرسول صلى الله عليه وسلم بدخول الإسلام إلى كل بيت من بيوت الأوس والخزرج</p> <p>٥. أمر الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى يثرب</p> <p>ب. الصعوبات:</p> <p>١. لم يستطع مستضعفي المسلمين الهجرة</p>	<p>د. بيعتا العقبة فالأولى كانت في موسم حج السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية وأما الثانية فكانت في موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية وتضمنت ما يلي:</p> <p>١. البحث عن سند اجتماعي جديد لحماية الدعوة من خلال دعوة القبائل الوافدة إلى مكة</p> <p>٢. إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة لنشر الإسلام</p> <p>٣. مبايعة مسلمي المدينة للرسول صلى الله عليه وسلم على الطاعة والحماية والنصرة</p> <p>٤. توفر الأساس الذي مكن الرسول صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة من خلال إتمام عهد وتوثيق بيعتا العقبة الثانية</p> <p>٥. اتخاذ مجموعة من التدابير الأمنية لحماية الدعوة وقيادتها</p>	

٦. معرفة الخريطة الاجتماعية لبيئة الدعوة ٧. تكوين أول مجلس شوري ٨. إيجاد تنظيم سياسي للمسلمين ٩. الاهتمام بالعلاقات الإنسانية	٢. قرار كفار قريش بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم ج. الحلول: الأذن الإلهي للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى يثرب		
هـ. الهجرة إلى يثرب تضمنت ما يلي: ١. الاستفادة من معطيات الواقع ٢. السرية التامة لموضوع الهجرة ٣. المبدئية العالية للسلوك ٤. توفر المكان الأمن للدعوة ٥. بعث آفاق الأمل والحياة ٦. الأخذ بكل الأسباب الشرعية المتوفرة مع الاعتماد على الله ٧. اختيار أقدر العناصر لتنفيذ الهجرة	أ. الإنجازات: ١. انتهاء العهد المكي والذي استغرق ١٣ سنة وبدأ العهد المدني حيث دار الإسلام ٢. تمكن من الهجرة إلى يثرب كل صحابي قادر عليها ٣. وصول الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى قباء ومن ثم إلى المدينة ب. الصعوبات: ١. تنافر وتباين في الديانات بين عشائر المجتمع المدني ج. الحلول: لابد من تنظيم قيام أول مجتمع إسلامي		

أولاً: الأهداف:

لقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة عمل للدعوة الإسلامية في العهد المكي تمكن خلالها من تحديد الأهداف المطلوب تحقيقها، وهي :

* نشر الدين الإسلامي من خلال تحقيق ما يلي :

١- نشر عقيدة التوحيد وذلك من أجل معالجة الانحطاط الديني الشديد والوثنية السخيفة التي ابتلي بها العرب قبل الإسلام كما رأينا سابقاً.

٢- تطبيق الشريعة الإسلامية وذلك من أجل القضاء على الفوضى السياسية والتشريعية والاجتماعية والخلقية والاقتصادية التي اتصفت بها الجزيرة العربية قبل الإسلام كما رأينا سابقاً.

إن هذه الأهداف كما يمكن أن يلاحظ تتسم بالوضوح والواقعية والتناسق وقبولها للقياس. ففي سبيل نشر الدين الإسلامي اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم خططاً عملية تنفيذية محكمة على مدى ثلاثة عشر عاماً في مكة وعشر سنين في المدينة وذلك من خلال وضع سياسات هامة معينة مكنته بتوفيق من الله الوصول للأهداف المرجوة إلا أن التركيز هنا سينصب على العهد النبوي المكي.

ثانياً: السياسات:

لقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعة من السياسات اتسمت بالوضوح والتناسق والمرونة والقبول وذلك لتحقيق نشر الدين الإسلامي. وهذه السياسات كما هي موجودة في الجدول رقم (١) تتضمن الآتي :

أ- بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ب- بناء الفكر الإسلامي السليم.

ج- بناء النظام الاجتماعي المتوازن.

د- بناء الدولة الإسلامية.

وفيما يلي شرح مفصل لكل واحد منهم.

أ- بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة :

إن المنظومة العقدية تعد من الجوانب الهامة في التخطيط الإسلامي . وهي أحد السياسات الضرورية التي طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل نشر الدعوة الإسلامية حيث إن بيئة الدعوة كانت كما ذكر أنفأ في مجملها تعبد الأوثان والأصنام. إذ أن العقيدة السليمة هي أولوية الأولويات لأن أول ما يغير في النفس

ويضبط هو القلب لأنه هو المضغة التي إذا صلحت صلح البناء كله وإذا فسدت
اختلف البناء كله وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد
الجسد كله : ألا وهي القلب " (١).

فالإنسان مدار صلاحه وفساده على القلب فالإصلاح العقدي يتطلب تصحيح
مفاهيم الناس عن الألوهية ونفي الشرك نهائياً من حياتهم تطابقاً مع الهدف الأساسي
من وجود الإنسان الذي حدده الله عز وجل في قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ [الذاريات :
٥٦-٥٧] .

ومن هنا حرص الرسول صلى الله عليه وسلم خلال دعوته على تحرير الإنسان من
الأوهام والأساطير والخرافات والشعوذة التي يقوم بها متنفعون يزعمون أنهم وسطاء
بين الله والناس ومن اتخاذ وسطاء من الحجر والشجر والبشر يناجونهم ويسألونهم ،
وأعلن صلى الله عليه وسلم أن هذا العمل هو محض شرك وأنه لا واسطة بين الله
والإنسان .

إن الإصلاح العقدي مثل مفهوم التوحيد ، والبعث ، القضاء والقدر ، التوكل
يعتبر الأرضية الصلبة التي تشاد عليها صروح الرقي التقني والفكري والأخلاقي
والاقتصادي والإداري ... إلخ ، ومن هنا فهو يعد جانباً مهماً من عناصر التخطيط
الإسلامي . فعلى سبيل المثال استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم في مرحلة الدعوة
السرية من غرس العقيدة الصحيحة والتي كان أحد أثارها موقف الصحابي الجليل
سعد بن مالك رضي الله عنه مع أمه فيقول :

(١) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي : صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير
، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ١ ، باب فضل من استبرأ لدينه ، حديث رقم ٥٢ ، ص ٢٨ .

"كنت براً بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت ؟
لتدعن دينك هذا ؟ أو لا أكل ، ولا أشرب حتى أموت ، فتعير بي ، فيقال : يا قاتل
أمة ، قلت : لا تفعلني يا أمة ، إني لا أدع ديني هذا لشيء ، فمكثت يوماً وليلة لم
تأكل فأصبحت وقد جهدت ، فمكثت يوماً وليلة أخرى لم تأكل فأصبحت قد
جهدت ، فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما
رأيت ذلك قلت : يا أمة ! تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفساً
نفساً ما تركت ديني لشيء ، إن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي فأكلت"^(١).

ب- بناء الفكر الإسلامي السليم :

إن الفكر السوي السليم يؤدي إلى التطابق بين سنن الوحي وسنن الكون وهو
يعد أحد السياسات الهامة إذ لا يمكن أن تنتشر دعوة الإسلام دون غرس الفكر
القوم . ومن هنا ركزت الدعوة الإسلامية على أن العقل وحرية الفكر هما مناط
التكليف ، وطالبت أتباعها بالبحث عن الدليل و البرهان وأنكرت التقليد الأعمى
للآخرين . واهتمت الدعوة الإسلامية بالعلم وأعلت مقام العلماء حتى اعتبرتهم ورثة
الأنبياء ، وأرست قيماً ثقافية تضمن استمرار التقدم العلمي . فالعلم حق للجميع
وليس حكراً لفئة معينة ويجب أن يقترن بالعمل والسلوك لأن كون ذلك دليل توفيق
الله للإنسان لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "من يرد الله به خيراً يفقهه في
الدين"^(٢).

لأن فقه الدين يقتضي فهم الحياة ، والنظر إلى أحداثها وقضاياها وفق مفاهيم
الإسلام الذي نظم جوانب الحياة كلها سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي : تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ ،
ج ٣ ، ص ٤٤٦ .

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،
دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون سنة النشر ، ج ٢ ، باب النهي عن المسألة ، حديث
رقم ١٠٣٧ ، ص ٧١٨ .

اجتماعية أو إدارية ... إلخ . فلا عجب إذا ما تفتحت بصيرة المسلم على جوانب الحياة المتنوعة بصورة أعمق وأشمل كلما ازداد بصيرة في دينه .

إن إصلاح مسالك التفكير وتمكين العقل الإنساني من أداء مهمته في معرفة خالقه وفهم وحيه وكشف سننه من خلال النظر والتأمل في الأفاق والأنفس والآيات يؤدي إلى تحرير الإنسان من الخرافة والجمود والتقليد وفي ذلك يقول الإمام الغزالي :
" وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ، ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير ، نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب ، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال ، والحال تابع العلم ، والعلم تابع الفكر ، فالفكر إذاً هو المبدأ أو المفتاح للخيرات كلها " (١) .

ج- بناء النظام الاجتماعي المتوازن :

إن إرساء مثل هذا النظام داخل المؤسسات الإدارية عنصر هام أيضاً من عناصر التخطيط الإداري الإسلامي . لأن هذه المنظومة تسعى إلى الحفاظ على كرامة الإنسان وتدعيم إنسانيته ليقوم بمهمته الاستخلافية في الحياة . ومن هنا حرصت الدعوة الإسلامية على بناء مجتمع العدل والقوة لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۚ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

فالكتاب والميزان لإقامة العدل والحديد لإيجاد القوة التي تحمي العدل وتكفل استمراره .

ومن هنا اعتنى الرسول صلى الله عليه وسلم بالحرية والمسؤولية والمساواة والعدالة كقيم ضرورية لبناء نظام اجتماعي متوازن يحقق تكافؤ الفرص أمام الناس لكي يعبروا عن مواهبهم وقدراتهم وطموحاتهم المشروعة دون كبت . وبناء عليه رفض الإسلام

(١) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ج ٦ ، ص ٢٨٠٨ .

ما كان موجوداً من عادات اجتماعية سيئة مثل الرق ، العصبية القبلية ، الربا ، الخمر ، الميسر ، الزنا ، التي تسيء إلى إنسانية الإنسان وتهدر كرامته الآدمية.

د- قيام الدولة الإسلامية :

سعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إيجاد الدولة التي تحمي الدعوة وأتباعها وقيادتها، إلا أنه لم يستطع ذلك خلال العهد المكي نظراً لعنت القرشيين وكنودهم . وبناء على ذلك اضطر عليه الصلاة والسلام إلى البحث هنا وهناك إلى أن وجد الحماية والنصرة من لدن الأنصار. إذ لا يمكن تبليغ كلام الله ، مع أنه أصبح لديه أتباع كثر، في تلك البيئة دون وجود قبيلة تؤويه وتحميه. وبالفعل قامت دولة الإسلام في المدينة المنورة ولكن تم التخطيط لتحقيق بعض من مقوماتها الأساسية خلال الفترة المكية ، والتي تمثلت مقوماتها في أرض المدينة وما حولها من خلال بيعة العقبة الثانية كما سيري ذلك لاحقاً ، والأمة وهم المهاجرون والأنصار ، ومن التحق بهم فأعلن الإسلام من خلال أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة إلى يثرب والتي سوف تناقش لاحقاً.

إن القيام بعمل كل السياسات السابقة أفسحت الطريق للرسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق الأهداف المنشودة وهذا ما سوف يرى جلياً في هذه الدراسة.

ثالثاً : الوسائل :

إن تحديد الأعمال اللازمة والنشاطات الضرورية لترجمة الأهداف إلى واقع ملموس كان أيضاً سمة أساسية في التخطيط للدعوة الإسلامية. وقد اشتمل هذا التخطيط سواء المتعلق بالدعوة أو الهجرة خلال العهد المكي على نوعين من التخطيط في المفهوم المعاصر: تخطيط إستراتيجي أو بعيد المدى وتخطيط تنفيذي أو قصير المدى^(١). لقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة عمل لنشر الدين الإسلامي في مكة المكرمة وهو الحدث التخطيطي الأول حيث اتبع عليه الصلاة

(١) البنا ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

والسلام خططاً عملية تنفيذية محكمة على مدى ثلاثة عشر عاماً تضمنت الوسائل

التالية كما هي موجودة في الجدول رقم (١) :

- أ- الدعوة السرية.
- ب- الدعوة الجهرية داخل وخارج المجتمع المكي.
- ج- الهجرة إلى الحبشة.
- د- بيعتنا العقبة.
- هـ - الهجرة إلى يثرب. وفيما يلي تفصيل لكل منها.

رابعاً : التقييم :

إن هذا الجزء من البحث سيقوم بشكل مفصل ما تم إنجازه من أعمال ونشاطات وتحديد الصعوبات التي تواجه عملية التنفيذ وتحول دون تحقيق الأهداف المرجوة في كل مرحلة من مراحل التخطيط الإسلامي في المجتمع المكي.

أ- الدعوة السرية :

بدأت الدعوة الإسلامية بمكة المكرمة بشكل سري وقد استمرت ثلاث سنوات^(١). وهذه المرحلة تعد بالنسبة للمرحلة الجهرية خطة قصيرة المدى حيث اتبع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم سياسة حكيمة تجلت في عرضها على من يرى فيه الاستعداد لقبولها وحسن الاختيار فيمن يدعوهم من مختلف الفئات والمستويات مما أدى إلى انتشار الإسلام بين مختلف العشائر دون تحفظات عصبية^(٢). أي أنه لم يقتصر اعتناق الإسلام على أفراد ينتمون إلى قريش أو يقيمون في مكة فعلى سبيل المثال نجد أن أبا بكر الصديق تيمي وعثمان بن عفان أموي وعلي بن أبي طالب هاشمي وعبد الله بن مسعود هذلي وعمار بن ياسر مذحجي وزيد بن حارثة كلبي^(٣).

(١) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩١ ؛ المطيري : الإدارة الإسلامية : النهج والممارسة ، مرجع سابق ، ص ٨٦ ؛ بن حميد ، بن ملوح ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ص ٢١٣-٢١٤ .

(٣) ابن حميد ، بن ملوح ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ص ٢١٣-٢١٤ .

ففي هذه المرحلة السرية بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فكانت أول من أسلم من النساء وكانت نعم النصير والمعين له بعد الله سبحانه وتعالى في دعوته لأنها رضي الله عنها :

"مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم . إن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية ، ويلقون غبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره ، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه . وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإناس والترفيه ، وبالإدراك والمعونة . وكانت خديجة سبابة إلى هذه الخصال ، وكان لها في حياة محمد صلى الله عليه وسلم أثر كريم"^(١). ولا غرابة في ذلك فقد عاصرت خديجة رضي الله عنها نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم منذ المرة الأولى وهي أول من بشرته بالنبوة عندما قص عليها ما كان من أمره في غار حراء إذ قالت له " كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق..."^(٢).

إذاً كان الرسول صلى الله عليه وسلم ذا اهتمام كبير بالتخطيط الأسري والذي تمثل في شخص خديجة رضي الله عنها لما لها من دور فعال في بناء وتنشئة الأسرة المؤمنة وتقوية الجبهة الداخلية للمجتمع المسلم^(٣).

كما كان أول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي كان عمره حينذاك حوالي عشر سنين ، وكان يعيش في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم تخفيفاً عن أبيه أبي طالب الذي كان كثير العيال قليل المال^(٤). وهذا يدل أيضاً على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب والعناية بهم والتخطيط لهم من أجل تنشئتهم التنشئة الإسلامية.

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٤.

(٢) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ج ١ ، حديث رقم ٣ ، ص ٤.

(٣) المطيري : الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة ، مرجع سابق ، ص ص ٨٦-٨٧.

(٤) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ٣١.

كما كان أول من أسلم من الموالي هو زيد بن حارثة رضي الله عنه وذلك لأن الدعوة الإسلامية تنطلق من مبدأ المساواة بين البشر دون اعتبار للثروة والجاه ، ولا اللون أو العرق إذ لا مكان للنظم الطبقية لأن أساس التمايز بين الناس هو التقوى والعمل الصالح . ومن هنا يجب أن يهتم التخطيط الإسلامي بجميع أفراد وطبقات المجتمع المسلم .

وكان أول من أسلم من الرجال من خارج بيت الرسول صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان في سن قريبة من سن الرسول صلى الله عليه وسلم وكان "... رجلاً مألُفاً لقومه ، محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه ... لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه (سرّاً) ، ممن يغشاه ويجلس إليه ... فأسلم بدعائه ... عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا" (١).

وازداد عدد المؤمنين بالدعوة الإسلامية يوماً بعد يوم نظراً للتخطيط الدقيق الذي وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم والذي تمثل في حسن اختيار من يدعو مما أدى إلى انتشار الإسلام في سائر عشائر قريش بشكل متوازن. وكان ممن دخل في الإسلام خلال تلك السنوات الثلاث - إضافة إلى من سبق ذكرهم - أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد هلال القرشي ، والأرقم بن أبي الأرقم ، الذي اتخذ المسلمون داره مقراً ومركزاً للدعوة أيام ضعفها واستخفافها ، وعثمان بن مظعون القرشي ، وعبيدة بن الحارث ، وأسماء وعائشة ابنتا الصديق ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وبلال بن رباح ... إلخ (٢).

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ص ١٨٠-١٨١.

(٢) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ص

لقد بلغ عدد المسلمين نيفاً وأربعين رجلاً وامرأة وما زالت الدعوة سرية ، لأن هذا العدد غير كاف في دفع أذى القرشيين للمسلمين ، كما أن الله سبحانه وتعالى لم يأذن بعد للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالجهر بالدعوة . وكان من أهم النشاطات التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الدعوة الإسلامية في الدعوة السرية ما يلي :

١ - اعتماد أسلوب الاتصال الفردي الانتقائي القائم على المعرفة الشخصية لمدى قابلية الأفراد من جهة ، ومدى استعدادهم للتجاوب مع دعوته من جهة أخرى ، حتى لا يتسرب إليها من ليس في مستواها وحتى يجنبها المعارضة الجماعية من قبل الفئات المتعصبة من قريش^(١) . فعلى سبيل المثال لم يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام على عمه أبي طالب رغم قربه منه إلا بعد أن رأهما هو وعلي يصليان فدار بينهما حوار انتهى بقول أبي طالب " أي ابن أخي لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت "^(٢) .

٢ - تفادي المواجهة المبكرة مع الزعامة الجاهلية وإحجامه عن مبادأة رؤساء قريش بالدعوة خوفاً من إثارتهم عليها وذلك لمعرفته صلى الله عليه وسلم بتقاليد وعادات بيئة الدعوة وسلوك قياداتها وقدرتهم على تزييف وعي الرأي العام وتجنيدهم ضد التغير للمحافظة على استقرار الأوضاع وهذا ما حدث فعلاً في مرحلة الدعوة الجهرية . وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ

الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ

[ص : ٨] .

(١) البنا ، مرجع سابق ، ص ص ١١٦-١١٨ ؛ المطيري : الإدارة الإسلامية : المنهج والممارسة ، مرجع سابق

ص ص ٨٧-٨٨ ؛ عبد الرحمن الضحيان : الإدارة في الإسلام ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٧هـ ، ص ٧٦ .

(٢) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

٣- أي كيف يتزل القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم وليس هو بأكبرنا سنّاً ولا بأشرفنا نسباً ولا بأعلانا رياسة^(١). فمن خلال هذا الأسلوب استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم حماية مَنْ دخل في الإسلام من أذى القرشيين.

٤- توسيع تمثيل قاعدة الدعوة لتشمل كل أو أغلب بطون المجتمع القرشي وقبائله ليشكل بذلك النواة الأولى لمشروع الأمة والعقيدة ليحل بديلاً لمشروع القبيلة مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ١٣] .

٥- وعلى هذا فكان من المتوقع أن ينتشر الإسلام في عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم في قريش التي ينتمي إليها أخيراً ، إلا أن انتشار الإسلام لم يكن فقط بين أفراد ينتمون إلى قريش أو يقيمون في مكة.

٦- استيعاب فئات مختلفة ومتعددة من بطون المجتمع القرشي وقبائله . أي أن الدعوة لم تنتشر في فئة معينة من فئات المجتمع كالرجال أو النساء أو الوجهاء أو العبيد أو الشباب أو غيرهم^(٢).

٧- تربية الفئات المنضوية تحت لواء الدعوة من خلال تحرير فكرهم من قيود الخرافة والجمود والتقليد والهوى والظنون وتعويدهم على التحليل والافتناع والإقناع والبرهان والدليل والحجة . كذلك ربط صلة الفرد المسلم بالله وحده من خلال بناء الإيمان بالله سبحانه وتعالى معرفة وعبادة حيث التوحيد الخالص لله عز وجل وإرجاع العظمة والكبرياء والعلو له وحده إضافة إلى

(١) الجزائري : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ٤٣٨ .

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٢٩٥ .

ضبط سلوك هذا الفرد المسلم وتصرفاته ومواقفه بما يتسق مع مبادئ الشريعة الإسلامية . إن هذه الأبعاد الرئيسية الثلاثة والتي جمعت بين العلم بسنن الله وقوة الإيمان به سبحانه ، وفعالية السلوك والقدرة على التأثير في الحياة مكنت ذاك الرعيل الأول من الاستعلاء الإيماني على واقع المجتمع الجاهلي والصمود في مواجهته والإصرار على تغييره بعد ذلك^(١).

٨- إعطاء الفرصة من خلال الدعوة السرية للرعيل الأول من المسلمين لدعوة من يثقون فيهم من أقاربهم وأصدقائهم وغيرهم كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٩- اتخاذ دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً للدعوة أيام ضعفها واستخفافها حيث إن قريش تستبعد أن يكون محمداً صلى الله عليه وسلم والرعيل الأول من المسلمين يجتمعون في هذه الدار للأسباب الآتية^(٢):

* صغر سن الأرقم بن أبي الأرقم حيث إنه لم يتجاوز السادسة عشرة .
* كون الأرقم بن أبي الأرقم ينتمي إلى بني مخزوم وهي فخذ من قريش مناوئ لبني هاشم.

* لم يتم إعلان إسلام الأرقم بن أبي الأرقم للآخرين .

مما سبق يتضح أن هذه المرحلة استغرقت ثلاث سنوات تميزت بالهدوء والعمل الفردي ، سواء من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو من جهة الطليعة الأولى للدعوة ، كأبي بكر الصديق وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ... إلخ . رضي الله عنهم أجمعين . فهي إذاً خطوة قصيرة المدى أدت إلى زيادة الأتباع حيث بلغ عدد المسلمين نيفاً وأربعين فرداً موزعين على مختلف القبائل

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(٢) فهد صالح السلطان: النموذج الإسلامي في الإدارة : منظور شمولي للإدارة العامة ، مطابع الخالد

للأوفست ، الرياض ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٢-٨٣ .

والمستويات الاجتماعية مما أدى إلى تكوين قاعدة أساسية للدعوة والتي سيكون لها أثر حاسم في مستقبل المسيرة الدعوية .. إن هذا يدل على مرونة التخطيط الإسلامي حيث إن الاستمرار بالدعوة كان حالة استثنائية نظراً لضعف الدعوة وغربتها إذ لو كان الصدام قد ابتدأ منذ اللحظات الأولى لأوشك أن يقضي على كل قواعد الدعوة^(١). ثم جاء الأمر الإلهي بالجهار بالدعوة لكسر الحصار المفروض على الدعوة والرغبة في زيادة عدد الأتباع. ويعد هذا جهداً منهجياً مخططاً اعتمد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى على الحيلة والحذر والأخذ بالأسباب المشروعة ودارسة المستقبل والإعداد للظروف الطارئة والمتوقعة حيث تميز هذا التخطيط بأمرين أساسيين^(٢) :

* "القدرة على البناء ومواجهة التحديات .

* القدرة على حماية منهج البناء ، والمحافظة على منجزات البناء بعد تحقيقها. وهو التحدي الأكبر الذي يواجه الإنسانية باستمرار ، ويهدد حاضرها ومستقبلها".

ب- الدعوة الجهرية :

استغرقت هذه المرحلة زهاء عشر سنوات وهي بمثابة خطة عشرية طويلة المدى ، وتنقسم إلى قسمين رئيسيين :

الفترة الأولى :

امتد الإطار الزمني لهذه المرحلة عبر سبع سنوات ، أي من السنة الثالثة وهي نهاية مرحلة الدعوة السرية ، إلى نهاية السنة العاشرة من البعثة . وكان تركيز الرسول صلى الله عليه وسلم خلال هذا القسم من المرحلة الجهرية على الدائرة القرشية بصفة

(١) غضبان ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٣١٧ .

خاصة ، ومحيطها القريب بصفة عامه وذلك كخطوة أولى لتحقيق رسالته العالمية لإدراكه عليه الصلاة والسلام بالمكانة المرموقة التي تحتلها مكة كبقعة وقريش كقبيلة في حياة العرب ونفوسهم^(١).

إنه بعد أن أصبح عدد المسلمين بضعا وأربعين فرداً ، وأسلم حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وبعد نزول قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَصْدَغَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

دخلت الدعوة في طور جديد فجاهر الرسول صلى الله عليه وسلم وصدع بما يأمره به ربه^(٢). وبدأ ذلك بأن صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي^(٣) :
" يا بني فهر ، يا بني عدي... " حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال " أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير أكنتم مصدقي ؟ " قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " . فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا. فترل فيه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ... ﴾ [المسد : ٣-١] .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢٢ ؛ بن حميد ، بن ملوح ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٥-٢١٦ .
(٢) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ص ٩٨-١٠١ .

(٣) البخاري ، مرجع سابق ، ج ٤ ، باب وأنذر عشيرتكم الأقربين ، حديث رقم ٤٤٩٢ ، ص ١٧٨٧ .
- ٦٥٩ -
مجلة جامعة الإمام (العدد ٥٣) محرم ١٤٢٧هـ

ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته العلنية بإنذار عشيرته الأقرين الأمر الذي قد يعين على نصره وتأييده وحماية الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لتوغل النظام القبلي في المجتمع المكي ، كما أن جلب هذا المجتمع إلى الإسلام يكون له تأثير كبير على بقية القبائل لما لمكة من مركز ديني هام^(١). إلا أن هذا الموقف الجديد أثار مضاجع المشركين وأفزعهم وأغضبهم ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من إيضاح بأن آلتهم لا تنفع ولا تضر ، فعرضوا على عمه أبي طالب أن يحمله على ترك ما جاء به أو يخلي بينهم وبينه حتى يهلك أحد الفريقين . فذهب أبو طالب إليه ، وأخبره بما عرضه عليه أولئك القوم ، فأجابه قائلاً^(٢):

" يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته "

فقال له أبو طالب: " اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت ، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً "

ولما يئس كفار قريش من إيقاف الدعوة الإسلامية عمدوا إلى إيذاء المسلمين وتعذيبهم أمثال عمار بن ياسر وأسرته وبلال بن رباح رضي الله عنهم أجمعين. كما استمر استهزاء المشركين بالرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيه أنواع الإساءة إليه واتهموه بالجنون والسحر والكذب وطالبوه بمعجزات ليست عند البشر العاديين واستخدامهم أسلوب المفاوضات والمساومات.

ولما فشل المشركون في محاولاتهم لإحباط الدعوة وإطفاء نورها، بلغ من كيدهم ومكرهم أن ضيقوا على المسلمين الخناق في أرزاقهم ومعاشهم ، فأغرت قريش سائر القبائل بمقاطعة بني هاشم وإحكام الحصار الاجتماعي والاقتصادي من حولهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة، واضطروهم إلى مغادرة مكة إلى شعب أبي

(١) ابن حميد ، ابن ملوح ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ٢١٥ .

(٢) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ١٩٣ .

طالب قريباً منها زهاء ثلاث سنوات ، وذلك حتى يجبروهم على التنكر للنبي صلى الله عليه وسلم والانفضاض من حوله وتسليمه لهم . حتى تمكن بعض زعماء قريش بزعامة عمرو بن هشام من نقض ما جاء في الصحيفة الظالمية، وانتهت بذلك المقاطعة^(١).

مما سبق يتضح أن هناك مجموعة من الخطوات المنهجية المنظمة التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم لإبلاغ كلام الله عز وجل ومنها ما يلي:

١ - التمسك بأهداف الدعوة وعدم التزحزح عنها مهما كانت الضغوط والتحديات والعروض المغرية. وهذا الموقف الثابت من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم يصوره أحد أركان القيادة القرشية عتبة بن ربيعة عندما نصح قومه بعد حوارهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً :

"... إني قد سمعت قولاً فو الله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم"^(٢).

إن هذا الموقف يجسد عنصراً مهماً من عناصر التخطيط الإسلامي وهو تقدير مدى صلاحية الدائرة القرشية للدعوة وذلك من خلال إقامة الحجة بدعوتهم جميعاً وفعلاً هذا ما تم في الفترة الثانية من مرحلة الدعوة الجهرية.

٢ - القدرة على الاستفادة من معطيات الواقع حماية للدعوة لأن مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية ، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته وتأييده وحمايته

(١) ابن حميد ، ابن ملوح ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ٢٣٥ .

(٢) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

وقد تمكن عليه الصلاة والسلام "...فعلاً من كسب تأييد أغليبتهم ودفعهم للانتصار له ، والذود عنه ، كما يدل على ذلك موقف أبي طالب ، وإسلام حمزة رضي الله عنه ، وانحياز سائر بني مناف ، عدا أبي لهب ضد قريش في حصارها الشامل للدعوة " وهو أيضاً ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : " ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب " (١).

٣- التمثل الرائع لمضمون الدعوة من قبل شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان مثلاً حياً لاستقامة السلوك وسمو الأخلاق حيث وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤].

وهذا السلوك القويم والمطابق والمنسجم مع مبادئ الدعوة جعل كفار قريش يسمونه صلوات الله وسلامه عليه بالصادق الأمين حتى قبل النبوة وكذلك ردهم عليه الصلاة والسلام حينما جهر بالدعوة وصعد على الصفا بقولهم: ما جربنا عليك إلا صدقاً . كذلك نصيحة النضر بن الحارث أحد أركان القيادة القرشية بقوله لقريش :

" يا معشر قريش ... قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغية الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتهم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ... وقتلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ... وقتلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ... وقتلتم مجنون ، لا والله ما هو مجنون ... يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم " (٢).

(١) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي : فتح الباري ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقى

محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ ، ج ٧ ، باب قصة أبي طالب ، حديث رقم ٣٦٧٠ ، ص ١٩٤ ؛ الغزالي ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

(٢) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢١٨ .

٤- إبعاد الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه من التورط في صراع غير متكافئ مع القوى المضادة القرشية وهذا ما حدث فعلاً في المرحلة السرية للدعوة عندما اتخذ عليه الصلاة والسلام دار الأرقم بن الأرقم للاجتماعات السرية للمسلمين الأوائل . كذلك كان من جملة التدابير التي كان يلجأ إليها الرسول صلى الله عليه وسلم استفادته من بعض بيوت أتباعه ليتعلموا فيها ما نزل من القرآن بشكل سري وفي ذلك قيل . " وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجمع الرجل والرجلين إذا أسلم ، عند الرجل به قوة ، فيكونان معه ويصبيان من طعامه " ^(١) . إضافة إلى طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أتباعه في السنة الخامسة من البعثة أن يهاجروا إلى الحبشة كما سوف يأتي لاحقاً من أجل إبعاد أتباعه عن الانزلاق نحو الصراع مع قريش .

٥- توطين نفوس الرعيل الأول من المسلمين على الانضباط النفسي وذلك من أجل مصلحة الدعوة وهذا ما ركز عليه القرآن الكريم في العهد المبكر للدعوة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَكَ اللَّهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٩] .

ومن المواقف التي تدل على تربية أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم على الانضباط النفسي العالي موقفه من عبد الرحمن بن عوف وبعض أصحابه فقالوا له : " يا نبي الله ، كنا في عز ونحن مشركون ، فلما آمننا صرنا أذلة " فقال : " إني أمرت بالعفو ، فلا تقاتلوا القوم ... " ^(٢) .

وفي هذا تعويد للمسلمين الأوائل على الصبر والمصابرة مع الأخذ بالأسباب من أجل بلوغ الغايات والأهداف الشرعية للدعوة .

(١) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٣٦٧ .

(٢) الحاكم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب الجهاد ، حديث رقم ٢٣٧٧ ، ص ٧٦ .

٦- تدعيم تلاحم وتضامن المسلمين الأوائل لمواجهة أذى المشركين وإثبات قيمة العقيدة الإسلامية في قلوبهم لأن الإيذاء والتعذيب الذي لاقوه لا يزيدهم إلا ثباتاً وتضحية في سبيل الدعوة إلى الله . فعلى سبيل ذلك ما كان من فعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه كنوع من أنواع التكافل والتضامن الاجتماعي عندما أعتق عدداً من المسلمين المستضعفين المعذنين كبلال بن رباح رضي الله عنه^(١).

٧- إعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم الأمل في التمكين في الأرض والفوز بالجنة وذلك لمقاومة ما قد يقع من اليأس على نفوس بعض أصحابه . ومن الأمثلة على ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم من أسرة آل ياسر وهم يشكون إليه حالهم على لسان ياسر : " يا رسول الله ، الدهر هكذا !؟ ، فيرد عليه الصلاة والسلام : " صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة " ^(٢).

إن هذا التعذيب الذي تعرض إليه أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم فيه تحريض لإيمانهم والتأكد من صدقهم مع الله فهم النواة الأولى للأمة الإسلامية فيما بعد^(٣).

إذاً يمكن القول بأن هذه المرحلة استمرت سبع سنوات، كسب خلالها الرسول صلى الله عليه وسلم تأييد أغلب عشيرته ودخل في الإسلام فئات جديدة حتى وصل عدد المسلمين قرابة الثلاثمائة بين رجل وامرأة^(٤). إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نصيرين كبيرين للدعوة هما زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وعمه أبو طالب مما أدى إلى زيادة أذى كفار قريش للرسول عليه الصلاة والسلام.

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٣٤.

(٢) الحاكم ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ذكر مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه ، حديث رقم ٥٦٤٦ ، ص ٤٣٢.

(٣) المطيري ، مرجع سابق ، ص ٩٠.

(٤) غضبان ، مرجع سابق ، ص ١٤٧.

فبدأ يعرض نفسه على القبائل ليجد الحماية والنصرة وتيقن أن مكة لا تصلح لقيام الدولة الإسلامية في ذلك الحين ويجب أن تفتح من خارجها. وقد حدث خلال الفترة الأولى من الدعوة الجهرية حدث عظيم وهو ما عرف باسم الهجرة إلى الحبشة وذلك في السنة الخامسة من البعثة والتي سوف يتم الحديث عنها لاحقاً.

الفترة الثانية :

ذكر ابن هشام بأن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأبا طالب توفيا في عام واحد وذلك قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنوات^(١). لذا فقد امتد الإطار الزمني لهذه الفترة من المرحلة الجهرية للدعوة خارج المجتمع المكي زهاء ثلاث سنوات والتي تتزامن خاصةً مع وفاة عمه أبي طالب في آخر السنة العاشرة من البعثة المحمدية^(٢).

إذ ضاقت مكة ذرعاً بالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، واشتد أذى قريش له ، ففكر عليه الصلاة والسلام بالخروج بالدعوة من مكة إلى الطائف أملاً أن يجد لدى أهلها من ينصره ويحميه حتى يبلغ رسالة ربه ، بعد أن استيقن أن مكة لم تعد مهيأة لإمكانية قيام الدولة الإسلامية بها ، لكنهم لم يستجيبوا له ، بل آذوه أشد الأذى ، وأغروا به سفهاءهم ، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دमित قدماه. ولما اقترب من مكة أرسل إلى بعض زعماء قريش يسألهم الدخول في جوار أحدهم ، لكنهم رفضوا ولم يلب طلبه إلا المطعم بن عدي ، الذي توجه إلى المسجد الحرام مع أقاربه بأسلحتهم ، ثم سأل النبي أن يدخل البلدة ، فدخلها ، وتوجه إلى الكعبة فطاف بها ، ثم ذهب إلى بيته دون أن يناله أحد بسوء^(٣).

وعلى ضوء ما سبق يمكن رصد النشاطات الضرورية لتخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم خلال هذه الفترة الثانية من المرحلة الجهرية للرسالة على النحو الآتي :

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ١٥ .

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ٣٨٧ .

(٣) بن حميد وابن ملوح ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

١ - البحث عن سند اجتماعي جديد للدعوة نظراً لوفاة عمه أبي طالب ، ومن هنا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحرك إلى الطائف في السنة العاشرة من البعثة يلتمس النصرة والحماية من ثقيف لما لهذه المدينة من مكانة وسيادة وقوة في بلاد الحجاز بعد مكة^(١). إلا أنه صلى الله عليه وسلم وفق في إيجاد القوة الاجتماعية التي ستحتضن الدعوة وتحميها ، وهم من أهل المدينة من الأوس والخزرج كما سيأتي الحديث عنها في بيعتي العقبة الأولى والثانية.

٢ - ممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم لنفس الأسلوب التخطيطي الذي طبقه في الفترة الأولى من المرحلة الجهرية للدعوة والذي يتمثل في الاستفادة من معطيات الواقع وقوانين المجتمع القبلي لحماية الدعوة . فبعد عودته صلى الله عليه وسلم من الطائف طلب الحماية من المطعم بن عدى كما ذكر سابقاً وذلك خوفاً من تحرشات قريش به ، خاصة بعد أن علمت بما جرى له مع كون المطعم مشركاً.

٣ - الاستفادة من تجارب وخبرات غيره من أصحابه وسواهم ، حتى وإن كانوا مشركين ، ومن الأمثلة على ذلك تقديم الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق عند الاتصال بالقبائل المختلفة ، لمعرفة رضي الله عنه بأنسابهم وأحوالهم فيمهد الطريق للدخول معهم في الحوار بعد ذلك عن علم بهم وبأوضاعهم^(٢). كما استفاد كذلك من عمه العباس قبل إسلامه والذي كان له معرفة ووجاهة بهذه القبائل بأن يدلّه على منازل أحياء العرب^(٣).

٤ - استمرار رفضه صلى الله عليه وسلم لأسلوب الإغراء والمساومة كما كان ذلك في الفترة الأولى من المرحلة الجهرية فعلى سبيل المثال عندما أتى عليه

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ١٧ .

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٤١٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١٣ .

الصلاة والسلام بني عامر ، فعرض عليهم نصرته وحمايته فرفضوا ، وقال له أحدهم : رأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أياكون لنا الأمر من بعدك ؟ فرفض عليه الصلاة والسلام قائلاً : " الأمر إلى الله يضعه حيث شاء " .

فقال العامري أفتهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه^(١) .

٥- عمق معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لبيئة الدعوة ، فقد اتضح أن من أسباب رحلته إلى الطائف مركزها... " السيادي والتجاري المرموق في الحجاز ، إذ تأتي بعد مكة من حيث الأهمية ، ثم وجود أحواله من الرضاة هناك ، إذ قضى صلى الله عليه وسلم فترة مهمة من طفولته عند بني سعد ، بالإضافة إلى أنه لم تكن بينهم وبينه عداوة " ^(٢) .

٦- تمكين الرعيّل الأول من المسلمين الاستفادة من تقاليد وأعراف وقوانين المجتمع الجاهلي فيما لا يتنافى مع الشريعة الإسلامية ، ومن ذلك قبول أبي بكر الصديق رضي الله عنه الدخول تحت حماية ابن الدغنة وهو يومها سيد الأحابيش عندما خرج مهاجراً ، فقال له : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني ؛ وضيقوا علي . قال : ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ، ارجع فأنت في جواربي. فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش ، إني قد أجرت ابن أبي قحافة ، فلا يعرضن له أحد إلا بخير... "

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ٢١ .

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٤١٩ .

وحينئذ كفوا فلم يعرضوا له بسوء^(١). كما أن في هذه الحادثة عنصراً مهماً من عناصر التخطيط الإسلامي وهو الضغط " على القوى المضادة من جهة ومحاولة إضعاف وحدة موقفها عن طريق المكانة المرموقة التي يحتلها الصديق من جهة أخرى^(٢).

مما سبق يتضح أن هذه المرحلة بدأت بعد وفاة أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم واستغرقت ثلاث سنوات بحثاً عن موطن يأمن فيه المسلمون على دينهم وبيئة تقبل دعوتهم مما أدى إلى خروج الدعوة خارج مكة والضغط على قوى قريش إلا أن الصعوبات التي واجهت الدعوة في هذه المرحلة تكمن في ازدياد أذى المشركين للمسلمين، فأصبحوا معزولين عن المجتمع المكي وأصبح وجودهم خطراً عليهم إضافة إلى عدم قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم حمايتهم مما أدى إلى ضرورة التفكير في مكان آمن يهاجر إليه المسلمون. وهذا ما سوف نتحدث عنه في الجزء الآتي.

ج- الهجرة إلى الحبشة :

إن أول هجرة في الإسلام تشمل هجري الحبشة الأولى والثانية وهي تعد تخطيطاً قصير المدى للهجرة إلى يثرب. فبعد أن جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته كما ذكر سابقاً وكثر عدد المسلمين ازداد أذى المشركين على المسلمين ، وبسطوا إليهم أيديهم وألستهم بالسوء . وأصبح المسلمون يشكلون مجتمعاً معزولاً عن المجتمع المكي ، فأصبح وجودهم في مكة أمراً ينطوي على المخاطر الكبيرة ، وذلك أدى إلى ضرورة التفكير بالهجرة إلى أماكن آمنة يهاجرون إليها فراراً بدينهم وأنفسهم عن العذاب . ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه غير قادر على حماية

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٢٧٨.

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٤٢٧.

المسلمين فأذن لهم بالهجرة إلى أرض الحبشة ، فقال لهم رسول صلى الله عليه وسلم :
" لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده، وهي أرض
صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه " (١).

ومن الثابت أن المسلمين هاجروا إلى الحبشة مرتين ، حيث كانت الأولى في شهر
رجب من السنة الخامسة للبعثة وكان عدد من هاجر آنذاك أحد عشر رجلاً وأربع
نسوة ثم بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا فعادوا من الحبشة إلا أنه عند وصولهم إليها
تبين لهم أن إسلام أهل مكة كان باطلاً (٢). وأما الهجرة الثانية إلى الحبشة فكانت بعد
عدة شهور من الهجرة الأولى وكان عدد من هاجر " اثنين وثمانين رجلاً سوى
نسائهم وأبنائهم ... وقيل إن عدة نسائهم كانت ثمان عشرة امرأة " (٣).

مما سبق عرضه عن الهجرة الأولى والثانية للحبشة تتضح منهجية تخطيط الرسول
صلى الله عليه وسلم لنشر الدين الإسلامي في العناصر الآتية :

١ - مشروعية الهجرة وهي الانتقال من ديار الكفر والشرك حين يتعذر على الفرد
المسلم أن يعبد الله تبارك وتعالى إلى بلد آمن يتمكن فيه من عبادة الله سبحانه
وتعالى بدون فتنه وعدوان وتعذيب مستمر (٤). كما أن هذه الهجرة تعد ضرباً
من الجهاد في سبيل الدعوة إلى الله حيث أسلم على أثرها النجاشي ملك
الحبشة وكثير من أهلها (٥).

٢ - حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إبعاد المسلمين عن التصادم مع
القوى المضادة وذلك من خلال إذنه صلى الله عليه وسلم لأتباعه بالهجرة إلى

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(٢) ابن حميد ، بن ملوح ، مرجع سابق ، ص ص ٢٣٦-٢٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ص ٢٣٨ .

(٤) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

(٥) حزام ماطر المطيري : (نموذج التخطيط الإسلامي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم : الفكر
والتطبيق .) ، مجلة جامعة الملك سعود ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، م ٦ ، ع ١ ، ١٤١٤هـ ،
ص ١٢٦ .

الحبشة . وقد ذكر بأن الهدف من الهجرة كان لإبعاد المسلمين " ... عن مواطن الفتنة في الدين للذين لا يستطيعون رد الاعتداء تمسكاً بالصبر، إلى أن تتمكن الدعوة من توطيد أقدامها ، والبعد كذلك عن إثارة المعوقات في طريق سير الرسالة ، خاصة وأن معظم المؤمنين كانوا شباباً تملؤهم النخوة والأنفة ، الأمر الذي يضاعف من احتمالات التصادم مع قريش "(١).

٣- الضغط على المجتمع القرشي لمراجعة حساباته ومواقفه تجاه أبنائه الذين هاجروا فراراً بدينهم ونأياً بأنفسهم من العذاب بعد أن علمت قريش أن جزءاً من خيرة رجالها هجر أرضه ودياره أمثال عثمان بن عفان ، الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وجعفر بن أبي طالب ، ومن هنا أرسلت وفداً إلى النجاشي لإعادتهم وإيذائهم^(٢). فعلى سبيل المثال كما ذكر أنفاً عندما خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجراً إلى الحبشة بادر أحد زعماء المشركين ابن الدغنة وهو سيد الأحابيش بمنحه الحماية لأن مثله لا ينبغي أن يمس أو أن يستغنى عنه . إضافة إلى أن هذه الهجرة تركت تأثيراً نفسياً إيجابياً على بعض القرشيين حينما رأوا المهاجرين يضحون بأهلهم وأموالهم وأرضهم في سبيل الله^(٣).

٤- حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تجميع الطاقة البشرية المتمثلة في المسلمين الأوائل وذلك من خلال البحث عن موقع جديد آمن يكون قاعدة احتياطية لا قاعدة انطلاق لحماية أهل الدعوة بعد تأكده عليه الصلاة والسلام من عدم صلاحية مكة لقيام الدولة الإسلامية الحامية للدعوة

(١) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٣٦٧.

(٢) ابن حميد ، ابن ملوح ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩-٢٤١ ؛ برغوث ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨.

(٣) المطيري : ((نموذج التخطيط الإسلامي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم : الفكر والتطبيق.)) ،

مرجع سابق ، ص ١٢٦.

وأهلها^(١). وهذا كان دليلاً واضحاً على دقة تخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم في الحفاظ على الدعوة وأهلها ومعرفته ببيئة الدعوة.

٥- دعم الرسول صلى الله عليه وسلم للتنظيم السياسي للمسلمين تجلّى في تعيين كلٍّ من عثمان بن عفان رضي الله عنه كقائد للهجرة الأولى وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه كقائد للهجرة الثانية للحبيشة^(٢).

٦- اختيار النوعيات الجيدة لهذه المهمة وقد تمثل ذلك في أن من هاجر إلى الحبيشة كان من خيرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم مثل عثمان بن عفان ، عبد الرحمن بن عوف ... إلخ . إضافة إلى وجود ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم (جعفر بن أبي طالب) وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنته (عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله)^(٣) دلالة على أن لا يكون خواص القائد في منأى عن الخطر ويدفع إلى الهجرة الأبعد من غير ذوي المكانة.

٧- أدت الهجرة إلى الحبيشة إلى تقوية أواصر المودة بين المهاجرين^(٤) وإيجاد جو من الترابط والتضامن والاطمئنان النفسي الذي عوض ما كان يمنحه النظام القبلي وربط الإسلام بين قلوبهم بقوة مما كان له أثر بالغ في دفاعهم عنه بعد عودتهم إلى بلادهم.

إذاً الهجرة إلى الحبيشة هي تخطيط قصير المدى هدفت إلى توفير الملاذ الآمن للمسلمين من أجل دفع الغربة عنهم وحمايتهم من أذى قريش. ولكن إيواء الحبيشة

(١) غضبان ، مرجع سابق ، ص ٣١٢ ؛ برغوث ، مرجع سابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٣٦٧ .

(٣) غضبان ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٤) محمد عبد المنعم حميس : الإدارة في صدر الإسلام : دراسة مقارنة ، مطابع الأهرام التجارية ،

القاهرة ، ١٣٩٤هـ ، ص ٥٠ .

للمسلمين زاد من حقد قريش فضاغت من حربها، وعداوتها، وكان من آثار ذلك حصار الشعب . فالهجرة هي خطة عملية مرحلية مؤقتة تهدف إلى الاستعداد للمستقبل وانتظار الأمر الإلهي لهجرة أكبر ودائمة طلباً للإيواء والنصرة^(١). والتي ستم مناقشتها في الجزء الآتي .

د- بيعتنا العقبة :

تضمنت هذه المرحلة بيعتنا العقبة الأولى والثانية كتنخطيط قصير الأجل ثم تلاها الهجرة النبوية كتنخطيط استراتيجي طويل الأجل لإقامة الدولة الإسلامية. فبعد أن رفضت قريش وثقيف دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على الاجتماع بالناس وتبليغهم دعوة الإسلام خاصة القبائل الوافدة إلى الحج والعمرة. وبينما كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يدعو القبائل القادمة إلى مكة في موسم الحج - في السنة الحادية عشرة من البعثة- لقي رهطاً من الأوس والخزرج وهم من أهل يثرب . فعرض عليهم الإسلام ، وتيقنوا أنه النبي الذي يتحدث اليهود عن قرب ظهوره لينتصروا عليهم به ، ورأوا أن يسبقوا إلى تصديقه لأن سكان المدينة كانوا من الأوس والخزرج واليهود^(٢).

وفيما يلي عرض موجز للبيعتين :

بيعة العقبة الأولى :

في موسم الحج للسنة الثانية عشرة من البعثة النبوية جرت بيعة العقبة الأولى مع وفد من أهل يثرب بلغ اثني عشر رجلاً عشرة منهم من الخزرج واثنا من الأوس ، ولقوا الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، فبايعوه على ألا يشركوا بالله شيئاً ، وأن يأتمروا بما أمرهم به وينتهوا عما نهاهم عنه وعرفت ببيعة النساء لأن ليس فيها

(١) السلطان ، مرجع سابق ، ص ٨٣.

(٢) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ ؛ بن

حميد ، بن ملوح ، مرجع سابق ، ص ٢٥٣.

قتال وذلك لأن النساء ليس عليهن جهاد^(١). وقد وصف هذه البيعة الصحابي الجليل عبادة بن الصامت فقال : " كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض الحرب ، على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر " ^(٢).

ولقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم مع من بايعوه أول سفير في الإسلام مصعب بن عمير رضي الله عنه ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين مما أدى ازدياد عدد المسلمين والذي بلغ أربعين فرداً ثم أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يصلي الجمعة بهم ^(٣).

بيعة العقبة الثانية :

وفي موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة قدم من مسلمي يثرب إلى مكة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ، واتصلوا بالرسول صلى الله عليه وسلم سرّاً فطلب منهم أن يقابلوه عند العقبة ، ولما اجتمع بهم . ومعه عمه العباس الذي لم يكن مسلماً حينذاك . اتفقوا معه على أن يمنعوه إذا قدم عليهم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم ثم طلب منهم أن يختاروا اثني عشر رجلاً منهم ليبايعوه على ما اتفقوا عليه ، فاختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وبايعوه^(٤). وتعتبر هذه البيعة هي نقطة تحول كبيرة

(١) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ٢٩ .

(٣) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ ؛ ابن

حميد ، ابن ملوح ، مرجع سابق ، ص ٢٥٣ .

(٤) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ٣٦ ؛ الجزائري : هذا الحبيب محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ص ١٤٧-١٤٨ .

في تاريخ الدعوة حيث أصبح لها دار يمكن أن يحميها ويحمي أهلها ثم بعد ذلك عاد الأنصار إلى يثرب ينتظرون هجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بلهف كبير .

يتضح مما سبق عرضه عن البيعتين منهجية محكمة للرسول صلى الله عليه وسلم في التخطيط لطلب النصرة والحماية لإبلاغ كلام الله عز وجل نورد منها ما يلي :

١ - حماية الدعوة وذلك من خلال البحث عن سند اجتماعي جديد للدعوة بعد وفاة عمه أبي طالب فكان عليه الصلاة والسلام يقف على القبائل قبيلة قبيلة قائلاً: "من يؤويني؟ من ينصرتي؟ حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة؟" (١). وقد وفق في هذا كما رأينا سابقاً عندما تمت بيعة العقبة الثانية على حمايته ونصرته صلى الله عليه وسلم إذا قدم إلى يثرب.

٢ - إن البون شاسع جداً بين البيعتين ، وكلاهما قد تم بين الأنصار وبين رسول صلى الله عليه وسلم فالأولى كانت لا تتعدى التمسك بمبادئ الإسلام وعدم المعصية ، أما العقبة الثانية كانت لها شروط خمسة هي :

* "تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

* والنفقة في العسر واليسر .

* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* تقولون الحق في الله لا تخافون لومة لائم .

* أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم

وأزواجكم وأبنائكم" (٢).

إذاً قضية الجهاد لا يكفي فيها الكلام العائم والالتزام بالدعوة كما جاء في البيعة الأولى ولكن لا بد لها من وضوح وتوثيق وعهد وبيعة كما حدث في بيعة العقبة

(١) الحاكم ، مرجع سابق ، ج ٢ ، كتاب آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي دلائل النبوة ، حديث رقم ٤٢٥١ ، ص ٦٨١ .

(٢) غضبان ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠ .

الثانية^(١). فبيعة العقبة الثانية حددت معالم الدولة الإسلامية لكونها ألزمت مسلمي المدينة بحماية الرسول صلى الله عليه وسلم ومنعه حتى يبلغ رسالة ربه.

٣- تعد بيعة العقبة الأولى بيعة مؤقتة لاقتصارها على البنود التي بايع الرسول صلى الله عليه وسلم النساء فيما بعد وأما بيعة العقبة الثانية فقد كانت الأساس الذي هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لاشتمالها على الشروط الخمسة السابقة الذكر. فالشرط الأول لبيعة العقبة الثانية يوجب السمع والطاعة والتي لا يمكن أن تكون إلا لأمر يرضاه الناس لأنفسهم ، كما يلزم الشرط الثاني المساهمة بالمال لدعم الدولة الإسلامية لتمكينها من أداء وظيفتها ، وأما الثالث فيوجب عمل الخير وإزالة الشر من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأما الرابع يؤدي إلى استقامة الأمور وقمع الفساد حتى لا يجد المفسدون الفرصة للتسلط وإذلال الناس ، وأخيراً الخامس يلزم النصرة والمنعة ليتمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من إبلاغ رسالة الإسلام^(٢).

٤- اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعة من التدابير الأمنية لحماية الدعوة وقيادتها ومن ذلك ما حدث أثناء بيعة العقبة الثانية على الرغم من أن عدد أفرادها كان ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين . فمن هذه الإجراءات ما يلي :

* ضبط الموعد مكاناً وزماناً ، بدقة متناهية ، فكان المكان شعب العقبة والزمان أو وسط أيام التشريق ، حيث يكون الناس في زحمة الانشغال بتهيئة أنفسهم للعودة إلى ديارهم، والوقت بداية الثلث الثاني من الليل حين يستسلم الجميع للنوم.

* الكتمان الصارم للأمر ، والخروج مثنى وفرادى مستخفين ، دون انتظار غائب أو إيقاظ نائم.

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢٠-٣٢٢.

(٢) محمد السيد الوكيل : تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ،

جدة ، ١٤١٠هـ ، ص ٨٨.

- * حضوره (صلى الله عليه وسلم) بعد اكتمال العدد ، ووضعه عليه الصلاة والسلام حراسة في مداخل الشعب.
- * طلبه عليه الصلاة والسلام من كل متكلم أن يوجز في كلامه ، وأن يخفض صوته ، حتى لا يطول اللقاء ، ولا يشعر به أحد.
- * رفضه استعداد بعض الأنصار لمواجهة قريش في نهاية اللقاء بعد تسرب الخبر إليها ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : " لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم "(١).

٥- إحاطة الرسول صلى الله عليه وسلم بالخريطة الاجتماعية لبيئة الدعوة فعلى سبيل المثال " جاءه رجلان وهو جالس بالحرم المكي مع عمه العباس ، فسأله عليه الصلاة والسلام هل تعرف هذين الرجلين ؟ فقال : هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك . فقال عليه السلام (الشاعر ؟) فقال العباس : نعم " (٢).

من هذا الموقف تتجلى معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهمية الشعر والشعراء ودورهم في نشر الدعوة لأن إسلام شاعر في ذلك الوقت بمثابة امتلاك صحيفة يومية أو إذاعة أو محطة تلفزيونية في وقتنا الحاضر.

٦- تكوين أول مجلس شوري في الإسلام من خلال طلبه عليه الصلاة والسلام بتعيين اثني عشر نقيباً من الأنصار ليبايعوه على بنود بيعة العقبة الثانية (٣) والتي شكلت القيادة التي تحمل التبعية الكاملة للحرب.

٧- حرص الرسول صلى الله عليه وسلم لإيجاد تنظيم سياسي لأتباعه ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في بنود بيعة العقبة الثانية مثل :

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ٣٤ ؛ برغوث ، مرجع سابق ، ص ٤٢١.

(٣) غضبان ، مرجع سابق ، ص ٣٢٤.

* قاعدة إشراك الجماعة في اختيار أفضلها للقيام بشؤونها ، وتأخذه من طلبه عليه الصلاة والسلام من الأنصار تعيين اثني عشر نقيباً منهم.

* قاعدة تبادل الرأي بحرية وصراحة ومسؤولية ، وصولاً إلى القرار الذي ينبغي أن يكون واضحاً ويلتزم به الجميع عن قناعه ، وهو ما يتضح لنا من المناقشات التي دارت في اللقاء وتمخضت عن بنود محددة ، بايع عليها الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم.

* قاعدة تحديد الصلاحيات وضبط المسؤوليات بدقة ووضوح . كما يدل على ذلك اختيار النقباء وتحميلهم مسؤولية رعاية شؤون الدعوة والمجتمع الإسلامي الوليد ، حيث خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء.

* قاعدة الإشراف والمتابعة لضمان فعالية الإنجاز في العمل ، وتلافي التسويف والإهمال. وهو ما نجده في قوله عليه السلام : " وأنا كفيل على قومي " (١).

٨- الاهتمام بالعلاقات الإنسانية ومن ذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك باسم : (الشاعر) عندما اجتمع معه في الحرم المكي مع عمه العباس استعداداً للقاء العقبة التاريخي ، فقال معلقاً : " والله ما أنسى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الشاعر؟) " لأنه أحس بمدى عناية واحترام واهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم به (٢). إذا هكذا كانت علاقته مع الناس قائمة على إظهار الود والاحترام والتقدير الأمر الذي جعلهم يبادلونه عليه الصلاة والسلام بنفس الأسلوب.

مما سبق يتضح أن بيعتنا العقبة تعتبر تمهيداً للهجرة النبوية إلى يثرب حيث حصل عليه الصلاة والسلام على الإيواء والحماية والنصرة والمنعة من قبل الأنصار مما يشير إلى بداية عهد الاستقرار وبناء الدولة لنشر كلام الله في جميع أنحاء المعمورة. ومن هنا

(١) ابن هشام ، مرجع سابق ، المجلد ، ج ٢ ، ص ٣٨.

(٢) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٤٣٩.

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة إلى أن جاءه الأمر الإلهي بأن يهاجر شخصياً إليها بعد أن قررت قريش قتل النبي صلى الله عليه وسلم والتي سوف يتم الحديث عنها في الجزء الآتي.

هـ- الهجرة إلى يثرب :

بعد أن استحال على المسلمين المقام بين ظهرائي قريش لم يكن محيص من الهجرة من مكة ليأذاً من الأسى والمعاناة ، ولم يكن أجدر من يثرب ملاذاً ، ولا أحن وأبر من مسلميها أنصاراً ، وهم الذين عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية على نصرته وحمايته وعلى أن يمنعه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم . فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المسلمين بالهجرة إلى يثرب التي أصبح لهم فيها أعوان وأنصار . وبعد فتره وجيزة لم يبق من المسلمين بمكة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، ومن حبسه المشركون من المستضعفين . وكانت هذه الهجرة حداً فاصلاً بين عهدين للمسلمين : عهد كانوا فيه مستضعفين مخذولين على أمرهم ، وعهد مشرق منير بدأت الشخصية الإسلامية في أكنافه تستكمل مقوماتها إلى أن قامت ولأول مرة في التاريخ الإسلامي دولة إسلامية.

ولما رأى المشركون هجرة المسلمين إلى يثرب زاد خوفهم وتيقنوا بأن لحاق النبي صلى الله عليه وسلم بهم سيكون له شأن عظيم . فاجتمعوا في دار الندوة وقرروا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على كيدهم فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

فذهب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأخبره أن الله أذن له بالهجرة^(١) . فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله ، قال له : نعم ، وراح يعد راحلتين لهما ، كما استأجر

(١) الجزائري : هذا الحبيب محمد رسول الله عليه وسلم يا محب ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٦-١٦٤ ؛ ابن حميد ، ابن ملوح ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥٥-٢٦١ ؛ غضبان ، مرجع سابق ، ص ص ٣٢٤-٣٣٣ .

دليلاً ماهراً يدلّهما على الطريق . وأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه تلك الليلة التي اجتمع فيها المتآمرون حول بيته لقتله عليه الصلاة والسلام. ثم خرج من البيت وهم جالسون ينتظرونه ، فأعماهم الله عنه.

ومضى في طريقه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . أما المتآمرون ، فمر بهم رجل ، وقال لهم : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمداً ، قال : خبتم وخسرتم. قد والله مر بكم ، وذرع على رؤوسكم التراب. ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه خفية إلى غار ثور ، ومكثا في الغار ثلاثة أيام كان عبدالله ابن أبي بكر رضي الله عنهما يوافيهما بالأخبار ، وأخته أسماء رضي الله عنها توافيهما بالطعام.

أما كفار قريش فإنهم لما علموا بخروج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر جدوا في طلبهما ووصلوا في بحثهم عنهما إلى فم غار ثور حيث يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ

أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا

السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ [التوبة : ٤٠] .

وبعد مرور ثلاثة أيام على النبي صلى الله عليه وسلم في غار ثور أتى إليهما الدليل بالراحتين كما واعداه . ثم انطلق الجميع إلى يثرب . وكان المشركون قد أعلنوا أنهم سيدفعون مائة ناقة إلى من يأتي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ممن اقتضى أثره وقرب منه سراقه بن مالك الذي دعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وغاصت يدا فرسه في الأرض ، وهكذا تغيرت حال سراقه من باحث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليسلمه إلى المشركين طمعاً في المال إلى مغرر بأولئك المشركين حيث أخبرهم بأنه استبرأ الطريق ، فلم يجد أحداً وذلك وفاء بما تعهد به للرسول صلى الله عليه وسلم . إذاً انتهت فترة العهد النبوي المكي.

لقد كان الجهد البشري في التخطيط للهجرة إلى يثرب في القمة ، ويكفي أن نلاحظ العناصر التالية لتحقيق الأهداف المنشودة :

١- الاستفادة من معطيات الواقع ومن ذلك اختيار الخبير المناسب ليدلها على الطريق الموصل إلى المدينة أثناء الهجرة ولو كان غير مسلم إنما كان أهلاً للثقة والمسؤولية مثل ما حدث مع عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والذي لم يكن مسلماً حينذاك في حضوره بيعة العقبة الثانية.

٢- السرية التامة والأخذ بالتدابير الأمنية والتي تجلت في أمور كثيرة عند الهجرة إلى المدينة ومنها ما يلي^(١) :

* كتمان وحصر أمر الهجرة إلا فيمن كان له دور ما فيها مثل أبي بكر الصديق ، عائشة وأسماء وأم رومان وعبد الله بن أبي بكر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

* تجميع عبد الله بن أبي بكر المعلومات اللازمة عن المشركين ومطاردتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه للحيلولة دون الهجرة ومن ثم إبلاغها للقيادة النبوية لإحباطها.

* الخروج من الباب الخلفي لدار أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

* قيام عامر بن فهيرة برعي الغنم قرب مدخل الغار لمحو آثار طريق إمدادهم بالغذاء والمعلومات.

* اختيار علي بن أبي طالب لينام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم لإيهام قریش بأن النبي صلى الله عليه وسلم راقد في فراشه.

* اختيار طريق الساحل وهو على غرار الطريق المعتاد الذي تمضي منه القوافل الذاهبة والغادية من الشام وإليها ومن هنا احتاج الركب إلى الدليل الخبير بالطريق.

(١) غضبان ، مرجع سابق ، ص ٣٣٣-٣٣٨.

٣- المبدئية العالية لسلوك وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أثرت كثيراً في مصداقية الدعوة الإسلامية. فعلى سبيل المثال ، موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من ودائع المشركين التي كانت بحوزته كأمانات وتبنيه عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن يرجعها إلى أصحابها رغم مصادرة قريش لأمواله وأموال أتباعه وخطورة الوضع الذي كان فيه حيث لا يسمح له بالاهتمام بالقضايا الجزئية^(١).

٤- توفير الملاذ الآمن للدعوة مما يهيئ لها المناخ الملائم للعمل الإيجابي ومن هنا أخذت الهجرة الطابع الإجباري لكل من كان يستطيعها لتجميع المسلمين بعد تشتت دام فترة طويلة . فالهجرة لم تكن " تخلصاً فقط من الفتنة والاستهزاء ، بل كانت تعاوناً على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن ، وأصبح فرضاً على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد ، وأن يبذل جهده في تحصيله ورفع شأنه "^(٢).

٥- فتح آفاق الأمل والحياة أمام الناس جمعياً ومن ذلك موقفه من سرقة بن مالك عندما لاحقه لقتله قائلاً له : " كيف بك يا سرقة إذا سورت بسواري كسرى ؟ قال : كسرى بن هرمز ؟ ! قال : نعم "^(٣) . فعاد سرقة بن مالك بعد أن كان " أول النهار جاهداً على نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر النهار مسلحة له "^(٤).

٦- بيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأسباب الشرعية أي التخطيط للهجرة مع الاعتماد على الله سبحانه وتعالى فبعد أن أخذ كل الأسباب التي

(١) برغوث ، مرجع سابق ، ص ٤٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

(٤) غضبان ، مرجع سابق ، ص ٣٤٠ .

يملكها في عالم البشر ووقعت المحنة في شيء خارج عن طاقته وقدرته
(وصول المشركين إلى غار ثور وإدراك سراقه بن مالك له) كانت ثقته بالله
لا تحد وتدخلت المعجزة الربانية مرتين لإنقاذه وحمايته.

٧- اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم أقدر العناصر لتنفيذ الهجرة من الشباب
والنساء بما يتناسب مع إمكاناتها وطاقاتها لتأدية الدور المطلوب منها على
أكمل وجه سواء كانت الطاقات أطفالاً (عائشة) أو رجالاً وفتيات (عبد
الله وأسماء) أو (أم عمارة وأم منيع اللتين حضرتا بيعة العقبة الثانية)^(١).

إذاً لكي تقوم أي دعوة إلى الله تعالى " لا بد أن يكون عمادها ودمها عنصر
الشباب الحي المضحى ، الذي يرتاد المخاطر ويقتحم الصعاب ، لا يعرف الخوف أو
الخور أو الوهن سبيلاً إليه ، ولا يقل دور الفتاة المسلمة عن دور الفتى المسلم ، فقدّر
أبنائها شريكة في البيعة ، شريكة في الهجرة ، شريكة في الجهاد ، شريكة في الإعداد ،
شريكة في الائتمان على السر " ^(٢).

إذاً انتهى عهد التشريد والتطريد أي العهد المكي والذي استغرق ثلاث عشرة
سنة حيث وصل إلى يثرب كل من يستطيع الهجرة إليها ثم جاءها الرسول صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. وشهد العهد المكي تركيزاً من الرسول
الله صلى الله عليه وسلم على الناحية الروحية لنشر الدين الإسلامي من خلال الدعوة
إلى التوحيد ومن ثم الشريعة الإسلامية للإعداد للمستقبل من خلال تنفيذ السياسات
الأربع الموجودة في جدول رقم (١) لبناء المجتمع المسلم الذي قوامه الإنسان الصالح .
ومن ثم بدأ عهد الاستقرار ، والاستعداد للقتال ، ونشر الدعوة في جميع بقاع الأرض
خلال العهد النبوي المدني. إلا أن هذا المجتمع الجديد يتصف بتنافر وتباين في ديانات
عشائره مما استلزم ضرورة وجود تخطيط وتنظيم على غرار ما كان في الفترة المكية.

(١) المرجع السابق ، ص ص ٣٤٤-٣٤٩.

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٩.

القسم الخامس : نتائج البحث :

إن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته تعد مدرسة تربوية خلقية سلوكية شاملة ، وكان أعلى مثل في كل صفة من صفات مكارم الأخلاق . إذ إن هذا ما يميز هذه الإدارة الإسلامية عن غيرها من الإدارات الوضعية والتي هي من نتاج العقل ، المعرضة للتغيير والتبديل والخطأ والتي يغلب عليها المنهج العلماني الذي ينفي وجود تأثير للجانب العقائدي والإيماني في الحياة بشكل عام وفي الإدارة بشكل خاص .

لقد تم في هذا البحث دراسة التخطيط وتأصيله إسلامياً ومعرفة المفهوم الخاص به والذي يضيف عليه طابعاً مميزاً ، وكذلك مناقشة التخطيط من خلال إبراز بعض جوانب السنة النبوية الفعلية في الفترة المكية ، باستخدام نموذج مقومات التخطيط المعاصر، وذلك للاستفادة منها في واقعنا المعاصر باعتبار أنها معصومة مقارنة بغيرها من تجارب العقول البشرية المعرضة للخطأ والتغيير والتبديل . وقد اتضح من هذا المقال تطبيق الإدارة الإسلامية للتخطيط في الحياة العملية لنشر الدعوة الإسلامية من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين خلال العهد المكي . وبعد هذه الدراسة التحليلية ، فإنه يمكن الإشارة إلى نتائج البحث فيما يلي :

- ١- التخطيط الإداري الإسلامي يعني عملية بذل الجهد من قبل الفرد أو الجماعة في الأخذ بالأسباب الشرعية والاستفادة من دروس الماضي والحاضر لوضع التدابير اللازمة لمواجهة المستقبل مع التوكل على الله فيما قدر من نتائج لتحقيق أهداف تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية أو لا تتعارض معها.
- ٢- إن الهدف من وجود الإنسان في الأرض هو العبادة التي حددها الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦-٥٧) .

مِنْ رِزْقِي وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿ [الذاريات : ٥٦-٥٧] .

وبذا تكون العبادة هي هدف الإدارة الإسلامية النهائي ، ومن ثم هدف التخطيط الإداري النهائي. أي التوجه بكل أنماط السلوك الإنساني الداخلي والخارجي إلى الله جل جلاله ابتغاءاً لمرضاته. فمن هنا لا بد أن يعكس التخطيط الإداري الإسلامي مفهوم العبادة لله عز وجل في نفس الوقت الذي يسعى إلى تحديد أفضل البدائل الممكنة لتحقيق هدف معين في مدة معينة. ومن هنا بينت الدراسة أن أهداف وسياسات ووسائل التخطيط النبوي في الفترة المكية كانت ذا صبغة تعبدية تتفق مع مقاصد الشرع الحنيف.

٣- إن إدارة الدعوة الإسلامية ارتكزت على التخطيط السليم في كل مراحلها :

السرية ، الجهرية ، هجرتي الحبشة ، بيعتي العقبة ، الهجرة إلى المدينة.

٤- لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف مراده من الناس الذين خاطبهم بدعوته حيث كان هدفه هو إظهار دين الله بالإعلام به وإبلاغه لهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لعنه أبي طالب : " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته ".

٥- لم يكن ليتحقق ذلك الهدف لولا توفيق الله سبحانه وتعالى ثم للصياغة الواضحة الدقيقة لمجموعة من السياسات المبنية على فهم الواقع والظروف المحيطة والإمكانات من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم والتي مهدت الطريق كما رأينا لتحقيق الأهداف المرجوة. وهذه السياسات هي:

٦- بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٧- بناء الفكر الإسلامي السليم.

٨- بناء النظام الاجتماعي المتوازن.

٩- بناء الدولة الإسلامية.

١٠- كما أن قدرة ومهارة الرسول صلى الله عليه وسلم بتوفيق من الله على تحديد كل الوسائل والنشاطات الممكنة وتقييمها أولاً بأول لترجمة الأهداف المطلوبة إلى واقع ملموس إذ لا فائدة من وضع أهداف وسياسات دونها. وهذا فعلاً ما تم في جميع المراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية والتي تضمنت الآتي :

- * بدء الدعوة سراً.
- * الدعوة الجهرية داخل الدائرة القرشية ومحيطها القريب.
- * الدعوة الجهرية خارج المجتمع المكي.
- * الهجرة إلى الحبشة (الأولى والثانية).
- * بيعتنا العقبة (الأولى والثانية).
- * الهجرة إلى يثرب.

١١- مرونة التخطيط الإسلامي حيث بدأت الدعوة سراً ثم جهراً داخل وخارج المجتمع المكي ثم هجري الحبشة ثم بيعتي العقبة ثم الهجرة إلى يثرب. إن هذه المرونة مكنت الرسول صلى الله عليه وسلم بعد توفيق الله سبحانه وتعالى من القدرة على بناء قاعدة أساسية للدعوة مميزة عقيدةً وفكراً وسلوكاً ومن ثم القدرة على المحافظة والحماية لمنجزات ذلك البناء.

١٢- اختلاف الجمهور المخاطب بالدعوة الإسلامية في كل مرحلة من مراحلها. فكانت الدعوة في البداية سرية ركز خلالها الرسول صلى الله عليه وسلم على دعوة الأصدقاء المقربين ، ثم كانت الدعوة الجهرية حيث خاطب فيها عليه الصلاة والسلام عشيرته الأقربين ثم انتقل إلى مخاطبة قومه من قريش قريهم وبعيدهم ، ثم أنذر سكان مكة المكرمة ومن حولها...إلخ. إذاً من المهم جداً أن يحدد المخطط جمهوره.

١٣- استخدام وسيلة الاتصال التي تناسب مع الجمهور المخاطب بالدعوة الإسلامية. فعلى سبيل المثال ، اقتضت ظروف الجمهور في المرحلة السرية أن يعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل أساسي ووحيد على الاتصال الشخصي حتى لا تتسرب أخبار الدعوة فتموت في مهدها. وأما في المرحلة الجهرية فقد اقتضت ظروف جمهورها عدم الاقتصار على وسيلة الاتصال الشخصي وإنما استخدام وسيلة أخرى هي الخطبة لذلك خطب الرسول صلى الله عليه وسلم في أول هذه المرحلة أول خطبة له يوم الصدع بالدعوة.

١٤- اختيار الوقت المناسب لنشر الدين الإسلامي. فعلى سبيل المثال ، جاءت دعوة الأصدقاء المقربين خلال المرحلة السرية ، ثم دعوة الأقربين والدائرة القرشية ومحيطها القريب خلال الفترة الأولى من المرحلة الجهرية ، ثم دعوة من حول مكة خلال الفترة الثانية من المرحلة الجهرية.

١٥- إن التخطيط الإداري في الإسلام هو تخطيط إنساني ، بمعنى أنه يجعل الإنسان محور اهتمامه وأساس خطته. لذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم سعى أولاً وقبل كل شيء إلى بناء العقيدة السليمة التي محلها القلب والذي يعتبر بمثابة الجزء الأساسي في صلاح الإنسان وفساده. ثم سعى صلى الله عليه وسلم إلى بناء الفكر السليم الذي يحرر الإنسان من الخرافة والجمود والتقليد. ثم عمل صلى الله عليه وسلم على إرساء نظام اجتماعي متوازن يحقق تكافؤ الفرص أمام الناس كافة وذلك حفاظاً وتدعيماً لكرامتهم الإنسانية لكي يقوموا بمهمتهم الاستخلافية في الحياة.

١٦- إن التدرج كان من السمات البارزة في تخطيط الدعوة الإسلامية خلال العهد النبوي المكي . فالقرآن الكريم نزل منجماً ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَفَرَأْنَا أَنَّا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

وكان هذا التدرج على النحو الآتي^(١):

أ- التدرج بحسب الموضوع :

فقد تدرجت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار الموضوع حيث كان التركيز في الفترة المكية على دعوة الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك والوثنية. وبالتدرج نفسه بدأت الدعوة إلى أصول الأخلاق من الصدق والعدل وأداء الأمانة والعفة خاصة في العهد المكي للدعوة حيث حاجة الفرد إليها أمس وأداؤها عليه أوجب.

ب- التدرج بحسب الوسيلة :

فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم القول كوسيلة أساسية سواء خلال الدعوة السرية أو الدعوة الجهرية طيلة العهد المكي .

ج- التدرج بحسب الأسلوب :

فكان تخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم يقتضي اتخاذ أسلوب العرض للدعوة بالحكمة واللين خلال العهد المكي حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِأَلْسِنَتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾

[النحل : ١٢٥] .

د- التدرج بحسب المدعوين :

فقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة محيطه القريب جداً زوجته خديجة ، وصاحبه أبي بكر الصديق ، وابن عمه علي بن أبي طالب ، وغلामه زيد ابن حارثة رضي الله عنهم أجمعين ثم اتسعت الدائرة لتشمل محيطاً من أقاربه أوسع من ذي قبل ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

[الشعراء : ٢١٤] .

(١) إبراهيم عبد الله المطلق : التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، مركز البحوث والدراسات

الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٧هـ ، ص ص ٢٨-١٢١ .

وبعد أن أنذر صلى الله عليه وسلم أهل مكة وصبر على أذاهم طويلاً ، دعا أهل الطائف ثم أعيان قبائل العرب ممن يقدمون على بيت الله الحرام.

١٧- كل هذا يؤكد بجلاء على أن الدعوة الإسلامية في العصر النبوي المكي لم تكن تتبع الأساليب العشوائية بل عرفت التخطيط قبل أن يفتن إليه الفكر الإداري المعاصر لأن العبرة ليست بالمسميات وإنما بالمضمون مع البون الشاسع في الأساس الفكري والأهداف والأساليب وطريقة التنفيذ.

* * *

القسم السادس : الخاتمة :

مما سبق يتضح أن هناك حاجة ماسة للاهتمام والاقتداء بمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التخطيط للاستفادة منه في واقعنا المعاصر وذلك من خلال تحقيق الجوانب التالية :

١- التوافق التام بين الفكر والسلوك والالتزام بالمبدئية العالية سواء على الصعيد العقدي أو الفكري أو الاجتماعي أو السياسي أو الإداري ... إلخ أي لا بد من وجود معتقد واضح صحيح تتحد على ضوئه المقاصد والغايات .

٢- الاستفادة من المعطيات والظروف والإمكانات المتاحة رغم محدوديتها وبساطتها ومن ثم توظيفها لتحقيق الأهداف المنشودة مثل اتخاذ دار الأرقم ابن أبي الأرقم مركزاً للدعوة أيام ضعفها واستمرارها.

٣- الفهم الدقيق للواقع سواء كان على المستوى الديني أو السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الإداري كما تم ذكره عند الحديث عن الملامح العامة لأحوال العرب قبل الإسلام وتكيفه مع سنن الأفاق والأنفس والكتاب .

٤- الإيمان والالتزام والاستمرار في تحقيق الأهداف المنشودة مهما كانت العقبات والتحديات والاعراض.

٥- التوكل والاعتماد على الله في تلقي النتائج بعد است فراغ الوسع في الأخذ بالأسباب الشرعية.

٦- تحديد الجمهور المناسب والوسيلة المناسبة واختيار الوقت المناسب لتحقيق الأهداف المرغوبة.

٧- كمال خلق الرسول صلى الله عليه وسلم واتصافه باللين ، والسماحة ، والصبر ، والإحسان وغيرها ولذلك كان من رآه أحبه ، فإذا عاشره ازداد له تعظيماً وإجلالاً مع الألفة والاطمئنان إليه وحتى غضبه يكون عندما تنتهك

حرمت الله ، فيغضب الله لا لنفسه. " ومن كان كذلك كان حرياً أن يؤلف
 حوله القلوب ، ويروض نافر النفوس ، ويستل راسخ السخائم ،
 والأحقاد... " (١). وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ
 لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
 وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

٨- وضوح شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وضوحاً تاماً للعدو والصديق
 والغريب والبعيد قبل البعثة وبعدها ، في حالة الحرب والسلام . إن أعماله
 وتصرفاته صلى الله عليه وسلم كانت واضحة سهلة بعيدة كل البعد عن
 الغموض والتورية والتأويل . وفي هذا يقال بأن " شخصيته صلى الله عليه
 وسلم كانت غير قابلة لتلك الدعاوى والافتراءات (ساحر ، مجنون ، شاعر)
 فكان كل من عرفه يدرك بلا عناء كذبا ، ومن سمعها فسبقت إلى عقله ،
 فسرعان ما تزول بمجرد مقابلته للنبي صلى الله عليه وسلم أو محادثته له " (٢).
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) سلمان فهد العودة : الغرباء الأولون : أسباب غربتهم - ومظاهرها - وكيفية ومواجهتها :
 أسلوب جديد في دراسة السيرة النبوية ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٣٣ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ص ٢٣٣-٢٣٤ .

فهرس المراجع :

- ١- أنس ، أبو عبدالله مالك الأصبحي : موطأ مالك ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، بدون سنة النشر .
- ٢- ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك بن أيوب الحميري المعافري : السيرة النبوية لابن هشام ، وضع حواشيه وخرج أحاديثه : الشيخ فؤاد بن علي حافظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .
- ٣- البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي : صحيح البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ .
- ٤- البنا ، فرناس عبد الباسط : التخطيط : دراسة في مجال الإدارة الإسلامية وعلم الإدارة العامة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- ٥- التبريزي ، محمد عبدالله الخطيب : مشكاة المصابيح ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ .
- ٦- الجزائري ، أبو بكر جابر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ، ط ٣ ، ١٤١٨هـ .
- ٧- الجزائري ، أبو بكر جابر : هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١١هـ .
- ٨- الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري : المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ .
- ٩- الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ .
- ١٠- السلطان ، فهد صالح : النموذج الإسلامي في الإدارة : منظور شمولي للإدارة العامة ، مطابع الخالد للأوفست ، الرياض ، ١٤١٢هـ .
- ١١- السواط ، طلق عوض الله وطلعت عبد الوهاب سندي وطلال مسلط الشريف : الإدارة العامة : المفاهيم ، الوظائف ، الأنشطة ، دار النوابع للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤١٦هـ .

- ١٢- الضحيان ، عبدالرحمن : الإدارة في الإسلام ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٧هـ.
- ١٣- الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ.
- ١٤- العساف ، صالح حمد : المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢١هـ.
- ١٥- العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي : فتح الباري ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ.
- ١٦- العودة ، سلمان فهد : الغرباء الأولون : أسباب غربتهم - ومظاهرها - وكيفية ومواجهتها : أسلوب جديد في دراسة السيرة النبوية ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ١٤١٠هـ.
- ١٧- الغزالي ، أبو حامد : إحياء علوم الدين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ.
- ١٨- المزجاجي ، أحمد داود الأشعري : مقدمة في الإدارة الإسلامية ، الشركة الخليجية للطباعة والتغليف ، جدة ، ١٤٢١هـ.
- ١٩- المطلق ، إبراهيم عبد الله : التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٧هـ.
- ٢٠- المطيري ، حزام ماطر : مبادئ وأسس الإدارة العامة أهمية أسلمتها : دراسة استطلاعية تحليلية ، مركز البحوث : كلية العلوم الإدارية : جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٢هـ.
- ٢١- المطيري ، حزام ماطر : الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ١٤١٧هـ.
- ٢٢- المطيري ، حزام ماطر. ((نموذج التخطيط الإسلامي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم : الفكر والتطبيق.)) مجلة جامعة الملك سعود ، جامعة الملك سعود ، م ٦ ، ع ١ (١٤١٤هـ) ، ص ص ١١٩-١٣٦.

٢٣- النمر ، سعود محمد ، هاني يوسف خاشقي ، محمد فتحي محمود ، محمد سيد حمزوي : الإدارة العامة : الأسس والوظائف ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ٣ ، ١٤١٤هـ.

٢٤- الوكيل ، محمد السيد : تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤١٠هـ.

٢٥- برغوث ، الطيب : منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٤١٦هـ.

٢٦- ابن حميد ، صالح عبد الله ، عبد الرحمن محمد عبد الرحمن بن ملوح : موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، دار الوسيلة جدة ، ١٤١٨هـ.

٢٧- خميس ، محمد عبد المنعم : الإدارة في صدر الإسلام : دراسة مقارنة ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ.

٢٨- شعبي ، فيصل أحمد : ((التخطيط الإداري الإسلامي في العهد النبوي المدني)) مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، الاقتصاد والإدارة ، مركز النشر العلمي ، جدة ، م ١٥ ، ع ١ ، ١٤٢٢هـ ، تحت الطبع.

٢٩- عساف ، عبدالمعطي محمد : مبادئ في الإدارة العامة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٠هـ.

٣٠- غضبان ، منير محمد : فقه السيرة النبوية ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ.

٣١- مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون سنة النشر.

٣٢- ياغي ، محمد عبد الفتاح : مبادئ الإدارة العامة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ٢ ، ١٤٠٧هـ.